ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية

ومواقعها في القرآن الكريم

تأليف

دكتور

فهمي حسن النمر

مدرس النحو والصرف

بجامعة الأزهر

١٩٨٥



ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية

ومواقعها في القرآن الكريم

تأليف

دكتور

فهمي حسن النمر

مدرس النحو والصرف

بجامعة الأزهر

١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــــدمة

الحمد لله مصرف الأمور على النحو الذى أراد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من نطق بالضـاد ، وعلى آله وصحبه الهـادين والمرشدين ، والرافعين لقواعد الدين ٠

وبعـــد : ــ

فهناك كثير من المســائل النحوية فى حاجة الى دراسـة وتحقيق وتمحيص ، حتى نصل الى الرأى الأمثل فيها ، ونبتعد عن كل ما يشوبها من غموض ٠

ومن القضايا الجـديرة بالدراسة والبحث قضية المجاورة ، وقـد اهتم النحـاة بهـذه الظاهـرة الى الحـد الذى جعـل ابن جنى ــ فى الخصائص ــ يعقد لهـا بابا مستقلا تحت عنوان : باب فى المجاورة ٠

والبحث فى مثل هـذه القضية يحتـاج الى جهد مضاعف ، نظرا لتفرقها فى بطون أمهات الكتب ، وتعلقها بالعديد من المسائل النحـوية والتصريفية ، بالاضافة الى تعدد آراء العلماء فى ذلك ٠

فنهم من أجاز الحكم بالمجاورة ، وجعلها قياسا ، ومنهم من منعها وأول ما أوهم ظاهرة وجـودها ، ومنهم من قصـرها على المسموع ولم يجز فيها القياس ٠

وكذا اختلفت آراؤهم فى تطبيق هذه الظاهرة على بعض آيات من القرآن الكريم ، ففريق يرى أن الجر على الجوار واقع فى القرآن وهـو كثير ، وفريق آخر يمنع الجر على الجوار فى القـرآن ، ويرى ضرورة صونه من هذه الظاهرة ٠

ولقد عنانى أمر هذه القضية كثيرا ، وشغلنى تحقيقها والبحث عن الحقيقة فيها ٠وقد قرأت ما كتب عنها سواء فى كتب النحو والصرف ، أو فى أمهات كتب التفسير ٠

وبعد ذلك ذكرت ما قيل حول هذا الموضوع من آراء مؤيدة ومعارضة ، ورجحت ما ظهر لى رجحانه مؤيدا ما أقول بالدليل ٠

وقد جعلت البحث فى تمهيد وأربعة فصول :

ذكرت فى التمهيد : تعريف المجاورة لغة واصطلاحا ، وبيان حركة المجاورة ٠

أما الفصل الأول فقد جعلته تحت عنوان : موقف العلماء من القول بالمجاورة ٠

والفصل الثانى : خصصته للمجاورة فى الدراسات النحوية ٠ وأدرجت تحته سبعة مباحث :

المبحث الأول : الجر على الجوار فى النعت ٠

المبحث الثانى : الجر على الجوار فى التوكيد ٠

المبحث الثالث : الرفع على المجاورة ٠

المبحث الرابع : المجاورة فى باب الجوازم ٠

المبحث الخامس : المجاورة فى باب التنازع ٠

المبحث السادس : المجاورة فى باب الاضافة ٠

المبحث السابع : المجاورة فى الأحوال والأزمنة ٠

والفصل الثالث : جعلته للمجاورة فى المسائل التصريفية ٠ واشتمل على الأمور الآتية :

١ ـ الجوار بين الواو والكسرة ٠

٢ ـ الجوار بين عين الكلمة ولامها ٠

٣ ـ قلب الحرف المناسب ٠

٤ ـ قلب الواو المجاورة للطرف همزة ٠

٥ ـ مجاورة الواو للضمة ٠

والفصل الرابع : خصصته للمجاورة فى القرآن الكريم ٠ وأدرجت تحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجر على الجوار فى العطف ٠

المبحث الثانى : الجر على الجوار فى النعت ٠

المبحث الثالث : الجوار بين الواو والضمة ٠

وبعـــد ٠٠

فالله أسأل أن يجعل هـذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به انه على ما يشـاء قدير ، وبالاجابه جدير ؟

تمهيــــــد

المجاورة في اللغــة :

جاء في الصحاح(١) : (الجار : الذي يجاورك ، تقول : جاورته مجاورة وجوارا ، وتجاور القوم واجتوروا بمعنى ، والمجاورة : الاعتكاف في المسجد ، وفي الحديث : « كان يجاور في العشر الأواخر »(٢) . وامرأة الرجل جارته ، والجار : الذي أجرته من أن يظلمه ظالم .

قال الهذلي (أبو جندب) :

١ ـ وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق مئزري(٣)

وأجاره الله من العذاب : أنقذه)

المجاورة في الاصطلاح :

يقصد بمصطلح الجر بالمجاورة أن عامل الجر ليس الاضافة أو حرف الجر ، وانما مجاورة الاسم لما هو مجرور بالاضافة أو بحروف .

وهذا هو معنى قول ابن الحاجب(٤) (وقد يوصف المضاف اليه لفظا والنعت للمضاف اذا لم يلبس ، ويقال له : الجر بالجوار ، وذلك

---

(١) ٢ : ٦١٧ ، ٦١٨ (جور) .
(٢) انظر صحيح البخاري ٤ : ٢٧١ ـ طبعة السلفية . وروايته في البخاري « كان يعتكف ... » .
(٣) مضوفة : أي أمر ضافة ، أي نزل به وشق عليه ، والمضاف : الملجأ .
انظر ديوان الهذليين القسم الثالث ص : ٩٢ .
(٤) انظر الكافية بشرح الرضي ١ : ٢١٨ .

للاتصال الحاصل بين المضاف والمضاف اليه ، فجعل ما هو نعت الأول معنى نعت الثانى لفظا) .

حــــركة المجــاورة :

حركة المجاورة ليست حركة بنـاء ولا اعراب ، وانما هى حــركة اجتلبت للمناسبة بين اللفظين المتجـاورين ، فلا تحتـاج لعـامل ، لأن الاتيان بهـا انما هو لمجرد أمر استحسانيلفظى لا تعلق له بالمعنى(٥) .

فـ (خـرب) فى قولهم : هذا جحر ضب خرب ـ صفة لـ (جحـر) فـكان حقه الرفع ولكن جـر لمجاورته المجرور ، فهو مرفوع وعلامة رفعة ضـمة مقـدرة على، اخـره منع من ظهورها اشـتغال المحـل بحـركة المجـــاورة .

---

(٥) انظر حاشية الدسوقى على المغنى ٢ : ٣٠٢ .

الفصل الأول
موقف العلماء من القول بالمجاورة

موقف العلماء من القول بالمجاورة

اختلفت كلمة العلمـاء حول ظاهرة الجر على الجوار ، فمنهم من اجاز هـذه الظاهرة ، ومنهم من رفضها ٠

ومن العلمـاء الذين اجـازوا ذلك سـيبويه ، وابن مـالك ، وابن آجروم وابن هشـام ٠

قال سيبويه(١) (ومما جـرى نعتا على وجـه الكلام « هذا جحر ضب خـرب » فالوجه الرفع وهـو كلام اكثر العرب وافصحهم ، وهـو القيـاس ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، ولـكن بعض العرب يجره ، وليس بنعت للضب ، ولكنه نعت للذى أضيف الى الضب ، فجروه لأنه نكرة كالضب ، ولأنه فى موضع يقع فيه نعت الضب ، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد)(٢) ٠

وقال فى موضع آخر من كتابه(٣) : (وقـد حملهم قـرب الجـوار على أن جروا « هذا جحر ضب خرب » ونحوه فكيف ما يصح معناه) ؟

فأنت ترى أن سيبويه ، وان رأى أن الأفصح هو رفع (خـرب) فى المثـال المتقدم ، وأن هذا هو الذى عليه اكثر العـرب وافصحهم الا أنه لم يرفض الجر ولم يحكم عليه بالشذوذ أو الغلط ٠

وقال ابن مالك(٤) فى شرح الـكافية : (ثم نبهت على النعت الذى يسميه النحويون نعتا على الجوار نحو قولهم (هذا جحر ضب خـرب)

---

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه ، مـات سنة ١٨٨هـ ٠

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ ٠

(٣) ١ : ٦٧ ، ويقصد بقوله (فكيف ما يصح معناه) أن اعمـال الثانى فى باب التنازع أولى لقربة ووضوح معناه ٠

(٤) هو أبو عبد الله محمد جمـال الدين بن عبد الله الطائى توفى سنة ٦٧٢هـ بدمشق ٠

فخفض (خرب) لأنه نعت (ضب) في اللفظ لمجاورته له وانما هو في المعنى للجحر ، ولا يفعل مثل هذا الا اذا أمن اللبس)(٥) ٠

وابن اجروم الصنهاجي(٦) في مقدمته المسماة بالأجرومية يتحدث عن ظاهرة الجر ويرى أن له أسبابا اربعة هي الجر بالحرف ، والجر بالاضافة ، والجر بالتبعية ، والجر بالمجاورة(٧) ٠

وقال ابن هشام(٨) في المغني : (والذي عليه المحققون أن خفض الجوار يكون في النعت قليلا - وفي التوكيد نادرا ، ولا يكون في النسق ، لأن العاطف يمنع من التجاور)(٩) ٠

المانعون لهذه الظاهرة :

ممن رفض الجر على الجوار وأول ما أهم ظاهرة وجودها ابن جني والسيرافي(١٠) ٠

قال ابن جني(١١) في الخصائص : (فمما جاز خلاف الاجماع الواقع فيه منذ بدىء هذا العلم ، والى آخر هذا الوقت ، ما رأيته أنا في قولهم : هذا جحر ضب خرب فهذا يتناوله آخر عن أول ، وتال عن ماض على أنه غلط من العرب ، لا يختلفون فيه ، ولا يتوقفون عنه ، وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ، ولا يجوز رد غيره اليه ٠

وأما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفا على ألف

---

(٥) انظر شرح الكافية الشافية ٣ : ١١٦٦ ـ ١١٦٧ ٠

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن الصنهاجي نسبة الى صنهاجة قبيلة بالمغرب المشهور بابن أجروم توفي بفاس سنة ٧٢٣هـ ٠

(٧) انظر شرح الكفراوي على متن الأجرومية ـ مطبعة عيسى الحلبي ص : ١١٤ ٠

(٨) هو أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري مات بالقاهرة سنة ٧٦١هـ ٠

(٩) انظر مغني اللبيب ٢ : ٦٨٣ ٠

(١٠) يفهم من تأويل ابن جني والسيرافي للأمثلة التي ظاهرها يفيد الجر على الجوار أنهما يمنعان الحكم بالمجاورة ٠

(١١) هو أبو الفتح عثمان ابن جني توفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ ٠

موضع • وذلك أنه على حـذف المضاف لا غير ، فاذا حملته على هـذا الذى هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل •

وتلخيص هذا أن أصله : هـذا جحر ضب خرب جحره ، فيجرى (خـرب) وصفا على (ضب) وان كان فى الحقيقة للجحر ، كما تقـول : مررت برجل قائم أبوه ، فتجرى (قائما) وصفا على (رجـل) ، وان كان القيام للأب لا للرجل لمـا تضمن من ذكره(١٢) •

والأمر فى هذا أظهر من أن يؤتى بمثال له ، أو شاهد عليه ، فلما كان أصله كذلك حذف الجحر المضاف الى الهاء ، وأقيمت الهـاء مقامه فارتفعت ، لأن المضـاف المحـذوف كان مرفوعا ، فلمـا ارتفعت استتر الضمير المرفوع فى نفس (خـرب) فجـرى وصفا على (ضب) وان كان الخـراب للجحر لا للضب على تقدير حـذف المضاف على ما رأينـا • وقلت آية تخلو من حذف المضاف ، نعم وربما كان فى الآية الواحدة من ذلك عدة مواضع •

فاذا أمكن ما قلنا ، ولم يكن أكثر من حذف المضاف الذى قـد شاع واطرد كان حمـله عليه أولى من حمـله على الغلط الذى لا يحمل غيره عليه ، ولا يقاس به)(١٣) •

وقال السيرافى(١٤) : (رأيت بعض النحـويين من البصريين قال فى « هذا جحر ضب خـرب » قولا شرحته وقويته بما يحتمله زعم هـذا النحوى ، أن المعنى : هذا جحر ضب خرب الجحر •

---

(١٢) أى ضميره يريد أن المسوغ لمجىء قائم وصفا للرجل وهو ليس بوصف له فى الحقيقة بل الموصوف حقيقة الأب هـو تضمن الأب ذكر الرجـل •

(١٣) انظر الخصائص ١ : ١٩١ •

(١٤) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله نشـأ بسيراف من بلاد ، وتوفى ببغداد سنة ٣٦٨هـ •

(١٥) يعنى ابن جنى ، فلا ضير أن يكون رأى ابن جنى عرف فى حياة السيرافى ، واستحق منه العناية بذكره ، فقد تعاصرا دهرا ، لأن السيرافى مات سنة ٣٦٨هـ ، وابن جنى سنة ٣٩٢هـ •

والذى يقوى هذا انا اذا قلنا : خرب الجحر صار من باب حسن الوجه ، وفى خرب الجحر مرفوع ، لأن التقدير : خرب جحره ، ومثله ما قاله النحويون : مررت برجل حسن الأبوين لاقبحين(١٦) ٠

والأصل فى مثال السيرافى المتقدم : مررت برجل حسن الأبوين لا قبيح ابواه ، ثم جعل فى (قبيح) ضمير الأبوين فثنى لذلك ، وأجرى على الأول فخفض ٠

وقد اعترض ابو حيان وابن هشام على ما ذهب اليه ابن جنى والسيرافى ٠

قال أبو حيان(١٧) : (ومذهبها خطأ من غير ما وجه ، لأنه يلزم أن يكون الجحر مخصصا بالضب ، والضب مخصص بخراب الجحر المخصص بالاضافة الى الضب ٠

فتخصيص كل منهما متوقف على صاحبه وهو فاسد للدرر ، ولا يوجد ذلك فى كلام العرب ، اعنى لا يوجد مررت بوجه رجل حسن الوجه ، ولأنه من حيث أجرى (الخرب) صفة على (الضب) لزم ابراز الضمير لئلا يلتبس ٠

ولأن معمول هذه الصفة لا يتصرف فيه بالحذف لضعف عملها فأما قول الشاعر :

٢ ـ ويضحك عرفان الدروع جلودنا
اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف

فلا يريد كاسف الشمس ، فيكون قد حذف معمول الصفة وان كان قد ذهب اليه بعضهم ٠

وانما هو عندنا صفة لليوم نفسه ، لأن الكسوف يكون فيه ، فيكون نحو قولهم : نهارك صائم ، وليلك قائم ، ولأن هذه الصفة لا يجوز نقل الضمير اليها حتى يصح نسبتها الى الموصوف على طريق الحقيقة ٠

---

(١٦) انظر الكتاب ١ : ٤٣٦ ٠

(١٧) هو محمد أثير الدين يوسف الغرناطى توفى بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ ٠

الا ترى أنه لا يصح عندنا مررت برجل حائض البنت ، لأن الحيض لا يكون للرجل ، وكذلك (الخرب) لا يكون للضب)(١٨) ٠

وقال ابن هشـام في المغني(١٩) : (ويلزمها استتار الضمير مع جريان الصفة على غير من هي له ، وذلك لا يجـوز عند البصريين وان أمن اللبس ، وقول السيرافي : ان هذا مثل : مررت برجل حسن الأبوين لا قبيحين مـردود ، لأن ذلك انمـا يجـوز في الوصف الثـاني دون الأول) ٠

ومعنى قول ابن هشام المتقدم أن قياس (خرب) من قولهم : هـذا جحر ضب خرب على (قبيحين) يعد قياسا مع الفارق ، لأن (خرب) ليس وصفا ثانيا مثل (قبيحين) والذي جرى عليه الاضمار والحذف والجـر على الجوار انما هو الوصف الثـاني وهو (قبيحين) كما تقدم اثنـاء شرحنا لأصل هـذا المثـال ٠

ولو أن السيرافي وابن جني قصرا مثـل هـذه الأساليب الواردة عن العرب على السماع ، وعدم جواز القياس فيها ، لكان هـذا اقـرب وأيسر من هذا الغموض ٠

وقد تقدم أن سيبويه قد ذكر في كتابه أن الوجه في (خرب) هـو الرفع ، وهو كلام اكثر العرب ، لأن الخرب نعت الجحر ، والجحر رفع ، وعلى هذا يكون الأمر ظاهرا وواضحا وهو أن الرفع أجود وافصح من الجـر ، لأن الرفع هو لغـة اكثر العـرب ، وأما الجـر وان كان واردا فهو دون الأفصح ، فيكون مقصورا على السماع ، وبهذا نخرج من دائرة التأويل والحذف والاضمار ٠

المجـاورة ووقوعها في القـرآن :

ورود الجـر على الجـوار في القرآن أو عدمه محل خـلاف بين العلماء ، فمنهم من اجاز ، ومنهم من رفض ٠

وسنتعرف على اقوال هؤلاء العلماء مفصلة عند الكلام على الفصل الخاص بالمجاورة في القرآن الكريم ٠

---

(١٨) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ ٠
(١٩) انظر مغني اللبيب ٢ : ٦٨٤ ٠

الفصل الثانى

المجاورة فى الدراسات النحوية

المبحث الأول

الجـر على الجـوار في النعت

شروط الجر على الجوار عند الصبين :

اشترط الخليل(١) ــ رحمه الله ــ لجواز الجر على الجوار توافق المضاف والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا ، وتعريفا وتنـكيرا ٠

قال في الكتاب(٢) : (لا يقولون الا « هذان جحرا ضب خربان »(٣) من قبل أن الضب واحد ، والجحر جحران ٠

وانما يغلطون اذا كان الآخر بعدة الأول ، وكان مذكرا مثـله او مؤنثا ، وقالوا : هذه جحرة(٤) ضباب خـربة ، لأن الضـباب مؤنثة ، ولأن الجحرة مؤنثة والعدة(٥) واحدة فغلطوا)(٦) ٠

واما سيبويه فهو يجيز الجـر على الجـوار سواء اتفق المضـاف اليه في الافراد والتثنية أو لم يتفقا ، فهو يجيز « هذا جحر ضب خر » لاتفاق المضاف والمضاف اليه في الافراد ، ولوروده عن العرب هكذا ، ويجيز ــ أيضا ــ « هـذان جحرا ضب خربين » بجـر (خـربين) مع أن

---

(١) هـو أبو عبـد الرحمن الخليل بن أحمـد الفراهيدي الأزدي مـات بالبصرة سنة ١٧٥هـ ٠

(٢) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ ٠

(٣) فلا يجوز عند الخليل (خربين) بالجـر على الجوار ، لعـدم اتفاق المتضايفين في التثنية ٠

(٤) الجحرة جمع جحر ، ويجمع أيضا على أجحار ٠

(٥) العدة : الجماعة ، وعـدة المرأة أيام اقرائها ، والمراد بهـا هنا اتفاق المتضايفين في الدلالة على الجمع ٠

(٦) أى جعلوا (خربة) صفة لـ (ضباب) فجروها ، وإن كان حقها الرفع ، لأنها صـفة لـ (جحرة) المرفوعة ، وصح ذلك الغلط ، لاتفـاق المتضافين في الدلالة على الجمع ٠

المضاف هو (جحرا) مثنى ، والمضاف اليه وهـو (ضب) مفرد • ويرى انه لا فرق بين الثـانى والأول الا فى البيان • وأما الاتفاق بين المضاف والمضاف اليه فى الجمع فلا يشترطه سيبويه •

قال سيبويه فى الكتاب(٧) : (وهـذا قول الخليل ــ رحمه الله ــ ولا نرى هذا(٨) والأول(٩) الا سـواء ، لأنه اذا قال : هـذا جحر ضب متهـدم ، ففيـه من البيـان انه ليس بالضب مثـل ما فى التثنيـة من البيـان)(١٠) •

ومما تقدم نعلم أن سيبويه قد أجاز الجر على الجوار عند اختلاف المتضايفين فى التثنية ، فهو يقبل : هـذان جحرا ضب خربين ، بجـر (خربين) بخلاف الخليل • فانه لم يجز فى (خربين) الا الرفع •

والخليل يرى انه يلزم لصحة الجر على الجوار اتفاق المتضايفين فى الجمع ، ولم يجز ذلك سيبويه •

والخليل يشترط توافق المتضايفين فى التذكير والتأنيث ، وسيبويه لا يشترط ذلك •

وذهب ابن الحاجب(١١) فى كافيته(١٢) الى أن سيبويه استشهد ــ على جـواز التخـالف بين المتضايفين فى التذكير والتأنيث ــ بقـول الحطيئة :

٣ ــ فاياكم وحيـة بطـن واد　　　هموز النـاب ليس لكم بسى(١٣)

فان (هموز) نعت لـ (حيـة) المنصوبة ، وجـر لمجـاورته لاحـد المجرورين وهو بطن أو واد •

---

(٧) انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ •

(٨) وهو قول الخليل : « هذان جحرا ضب خربان » •

(٩) وهو : هذا جحر ضب •

(١٠) يريد أن تثنية المضاف تفيد أن الجحـر جحران ، والضب واحد ، وأما فى الا فراد ، فالضب واحد ، والجحر واحـد ، وهـذا هو الفرق بين التثنية والافراد •

(١١) هو أبو عمرو عثمان جمال الدين المشهور بابن الحاجب توفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦هـ •

(١٢) انظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ١ : ٣١٨ •

وعينـه ابن جنى فى شرح تصـريف المـازنى ، فقال(١٤) : (جسر (هموز) وهو من صفة الحية لمجاورته لواد) ٠

وقد اختلف المضاف والمضاف اليه تذكيرا وتأنيثا ، فان (حيـــة) مؤنثة وما بعـدها مذكر ٠

وقيل : ان كلا من الحية وما بعـدها مذكر ، أما الحيسة فقد قال صاحب الصحاح(١٥) ٠

(الحية تكون للذكر والأنثى ، وانما دخلته الهاء ، لأنه واحـد من جنس ، كبطة ودجاجة ، على انه قد روى عن العرب : رأيت حيـا على حية ، اى ذكرا على انثى ، وفلان حية ذكر) ٠

وأما (البطن) فقد قال صاحب الصحاح(١٦) ـ أيضا : (البطن خلاف الظهر وهو مذكر ، وحكى ابو حاتم عن ابى عبيدة أن تأنيثه لغة) ٠

وأما الوادى فهـو مذكر لا غير ، فيجـوز للخليل أن يدعى توافق المضاف والمضاف اليه تذكيرا بجعل الحية للواحد المذكر من الجنس ، وكذلك (هموز) فانه (فعول) يوصف به المذكر والمؤنث ، اللهم الا ان يكتفى بالتخالف بالتأنيث والتذكير اللفظيين ٠

---

(١٣) (اياكم) محـذر و (حيـــة) محـذر منه ، وهما منصـوبان بفعلين ، اى بعدوا انفسكم ، واحذروا الحية ، فيكون العطف من قبيـل عطف الجمل ، الأولى تشتمل على جملة المحذر ، والثـانية تشتمل على جملة المحذر منه ٠ وأراد الحطيئة بالحية نفسـه ٠ والمعنى : أنه يحمى ناحيتـه ، ويتقى منـه ، كما يتقى من الحيـــة الحاميـة لبطن واديهـا المـانعة منه ٠

والوادى : المطمئن من الأرض ٠ والهموز : فعول من الهمز بمعنى الغمز والضغط ٠ (ليس لكم بسى) أى لا تستوون معه بل هو أشرف منكم ، يقال : فلان سى فلان اذا كان مثله ٠

انظر الديوان ص : ١٣٩ ـ الخزانة ٢ : ٣٢٦ ـ المنصف ٢ : ٢ ٠

(١٤) انظر المنصف ٢ : ٢ ٠

(١٥) انظر الصحاح ٦ : ٢٣٢٤ (حيا) ٠

(١٦) الصحاح ٥ : ٢٠٧٩ (بطن) ٠

والواقع أن سيبويه لم يستشهد بالبيت المتقدم ، وانما استشهد بقول العجاج :

٤ ــ كأن نسج العنكبوت المرمل(١٧)

ووجه الاستدلال به أن (العنكبوت) مؤنث و (المرمل) مذكر ، لأنه وصف للنسيج وقد اختلفا تأنيثا وتذكيرا ·

وللخليل أن يمنع هذا أيضا فان (العنكبوت) قد جاء مذكرا ــ أيضا ــ وقد نقل ذلك عن العرب ، قال الشاعر :

٥ ــ على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها(١٨) ·

وعلى تسليم أنها فى البيت مؤنثة ، فانه تأنيث ليس بعلامة اذ ليس مؤنثا بالتاء ولا باحدى الألفين المقصورة أو الممدودة ، فأشبه التذكير اذ لم يظهر فيه من التنافر ما يظهر فى التثنية ، فاذا صح أن تقول : هذان جحرا ضب خربين ، مع اختلاف المتضايفين فى التثنية ، فليصح هنا من باب أولى ·

وكل ما تقدم من خلاف بين سيبويه والخليل انما هو على رواية (المرمل) بفتح الثانية ــ وأما على رواية (المرمل) بكسر الميم ، فهى نعت للعنكبوت على ما يجب ، والمعنى : العنكبوت الناسج ، لأن (المرمل) بفتح الميم الثانية معناه المنسوج وليس من صفات العنكبوت ·

---

(١٧) وبعده : على ذرى قلامة المهدل
سبوب كتان بأيدى الغسل
(المرمل) معناه المنسوج ــ والقلام : ضرب من النبت ــ المهدل : المدلى · والسبوب : جمع سب وهو ثوب من كتان أبيض ــ والغسل : جمع غاسل وغاسلة ·
والمعنى : أن العنكبوت قد نسجت على القلام الذى حول هذا الماء ، والشاعر قد شبه ما نسجت العنكبوت على هذا الماء بثوب رقيق من الكتان ·
انظر الكتاب ١ : ٤٣٧ ــ شرح أبيات سيبويه للسيرافى ١ : ٤٩٥ الديوان ص : ٢٤٣ ــ الخزانة ٢ : ٣٢١ ·
(١٨) (هطال) : جبل · وانظر معانى الفراء ٢ : ٣١٧ ·

وقول من ذهب الى أن الجوار لا يكون الا مع النكرة مردود بقول ابى ثروان(١٩) : (كان والله من رجال العرب المعروف له ذلك بخفض (المعروف) على الجوار(٢٠) ·

ومن أمثلة الجر على الجوار في النعت قول ذي الرمة :

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب(٢١)

فـ (غير) نعت لـ (سنة) المنصوبة ، وجر للمجاورة ·

قال الفراء(٢٢) : (قلت لأبى ثروان ، وقد أنشدني هذا البيت بخفض : كيف تقول : تريك سنة وجه غير مقرفة ؟ قال : تريك سنة وجه غير مقرفة · قلت له : فانشد فخفض (غير) فأعدت القول عليه ، فقال : الذى تقول انت أجود مما أقول أنا ، وكان انشاده على الخفض)(٢٣) ·

وقال دريد بن الصمة :

٦ ــ فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

---

(١٩) هو ابو ثروان ، احد بني عكل ، واسمه الوحشي ، وهو أعرابي فصيح تعلم في البادية ؛ وله من الكتب : خلق الفرس ، وكتاب معاني الشعر · انظر معجم الأدباء ٧ : ١٤٨ ·

(٢٠) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٣ ·

(٢١) السنة : الصورة ــ الندب : الأثر من الجراح ، وقوله : غير مقرفة أي غير هجنة عقيقة كريمة · وفي الصحاح : المقرف كمحسن من الفرس وغيره : ما يداني الهجنة ، أي أمة عربية لا ابوه ، لأن الاقراف من قبل الفحل ، والهجنة من قبل الأم ·

انظر الديوان ص : ٨ ــ معاني الفراء ٢ : ٧٤ ــ الخزانة ٢ : ٣٢٤ ·

(٢٢) هو ابو زكريا يحيى بن زياد الملقب بالفراء توفي ببغداد سنة ٢٠٧هـ ·

(٢٣) انظر معاني الفراء ٢ : ٧٤ ·

فدافعت عنـــه الخيـــل حتى تبـــددت
وحتى عـــلانى حـــالك اللون اسود(٢٤)

و (أسود) نعت لحالك ، وجـر لمجاورته المجرور ·

وقال امرؤ القيس :

٧ ــ كأن أبانا فى عـرانين وبله   كبير أناس فى بجـاد مزمل(٢٥)

وكان يجب أن يقول : مزمل ــ بالرفـع ــ ، لأنه نعت لكبير المرفوع الا انه خفضه على الجوار ·

وقال ابن جنى فى الخصائص(٢٦) : (ولم يحمـل أبو على هـــذا البيت على الغلط ، لأنه أراد مزمل فيه ، ثم حـذف حـرف الجـر فارتفع الضمير فاستتر فى اسم المفعول) ·

---

(٢٤) تنوشه : تناوله ــ الصياصى : جمع مفرده صيصية ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة (بضم اللام) وهما نوعان من الثيـاب ·

والمعنى : أن أخاه دعاه والرمح تناوله ، ولها خشخشة ووقع كوقع صياصى الحاكة فى ثوب ينسج ، والنسيج الثياب المنسوجة ·

وروى البيت برفع (أسود) وعلى هذا يكون فى البيت اقواء ، وهو اختلاف حركة الروى ·

وخرجه علماء اللغة على أن الأصل هـو (أسودى) ، كما قيل فى الأحمر : أحمرى ، وفى الدوار : دوارى ، قال العجاج :

أطـــربا وأنت قنســـــرى   والدهـــر بالانســـان دوارى

ثم خففت ياء النسبة المشددة بحذف أحـد الياءين ، وهى الأولى ، وجعل الثـانية صلة ·

أنظر ديوان دريد ص : ٤٨ ــ الخزانة ٢ : ٣٢٣ ــ شرح الحماسة التبريزى ٣ : ٣٠٧ ·

(٢٥) ثبير : جبل ــ العرانين : الأوائل ، والأصل فى هذا انه يقال للأنف عرنين ، والوبل والوابل : ما عظم من القطر ــ البجـاد : الكسا المخطط ــ المزمل : الملفف ·

شبه الجبل فى أوائل الوبل ، وهو المطر الشديد الوقع ، العظيم القطر بكبير قوم متلفف بكساء ·

انظر الخزانة ٢ : ٣٢٧ ــ الخصائص ١ : ١٩١ ــ شرح القصائد التسع للنحاس ١ : ١٩١ ·

(٢٦) ١ : ١٩١ ·

وفي الأمالي(٢٧) : ولولا تقدير فيه هاهنا لوجب رفع (مزمل) على الوصف لكبير ، وتقدير فيه أمثل من حمل الجر على المجاورة ٠

وقال في الخزانة(٢٨) : (قوله (مزمل) انجز لمجاورته لأناس تقديرا لا لـ (بجاد) لتأخره عن (مزمل) في الرتبة ، فالمجاورة هنا تقديرية) ٠

---

(٢٧) انظر الأمالي الشجرية ١ : ٩٠ ٠
(٢٨) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٧ ٠

المبحث الثاني

الجـر على الجـوار في التوكيد

الخفض على الجـوار يكون في التوكيد نادرا ، ومن ذلك قول أبي الغريب(١) :

يا صـــاح بلغ ذوي الزوجـات كلـــهم
أن ليس وصل اذا انحلت عـرا الذنب(٢)

والشاهد : جر كلمة (كلهم) مع أنها توكيد لكلمة (ذوي) المنصوبة ، اذ لو كانت توكيدا لـكلمة (الزوجات) لقال : كلهن ، فـكان حق (كلهم) النصب ، ولكنه خفض لمجاورة المخفوض ·

وقال الفراء(٣) (أنشدني أبو الجراح العقيلي :

٨ ــ يا صـــاح بلغ ذوي الزوجـــات كلهم
أن ليس وصـــل اذا انحـلت عــرا الذنب

فأتبع (كل) خفض (الزوجات) وهو منصوب ، لانه نعت لذوي) ·

---

(١) هو أعرابي أدرك دولة العباسيين ·

(٢) صاح : منادى مرخم أصله ياصاحب ، و (كلهم) توكيد لذوي منصوب بفتحة مقدرة منعا من ظهورها كسرة المجاورة · عـرا الذنب : عروق الذكر ·

والمعنى : ان ترك الأزواج الجماع ، لضعفهم ، فحينئذ لا يوجـد وصل من الزوجات لهم ·

انظر معاني الفراء ٢ : ٧٥ ــ الخزانة ٢ : ٣٢٥ ــ الهمع ٤ : ٣٠٤ ــ شذور الذهب ص : ٣٦١ ·

(٣) انظر معاني الفراء ٢ : ٧٥ ·

وأما البدل ، فلم يقل أحد بالجر على الجوار فيه ، قال أبو حيان(٤) ٠ (لم يحفظ من كلامهم ما يفيد ذلك ، ولم يخرج أحد شيئا ، وسببه أنه معمول لعامل آخر غير العامل الأول على الأصح ، أى أن البدل على نية تكرير العامل ٠ ولذلك يجوز اظهاره اذا كان حرف جر باجماع ، فبعدت مراعاة المجاورة ، ونزل منزلة جملة أخرى) ٠

---

(٤) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٢٩٣ ٠

المبحث الثالث

الرفع على المجـــاورة

الرفع على المجاورة غير وارد عند جمهور النحاة ، الا أن بعضهم قد اثبته مستدلا على ذلك بقول المتنخل الهذلى :

٩ ــ السـالك الثغـرة اليقظـان كالئهـا
مشى الهـلوك عليهـا الخيعـل الفضـل(١)

(فقد سأل الرياشي الأصمعي(٢) عن سبب ارتفاع (الفضل) ، فرد عليه قائلا : ان (الفضل) نعت (الخيعل) وهو مرفوع ٠

وأصله أن المـرأة الفضل هى التى تكون فى ثوب واحـد ، فجعـل (الخيعل) فضلا ، لأنه لا ثوب فوقه ، ولا تحته ٠

---

(١) البيت من قصيدة للمتنخل الهذلى رثى بها ابنه اثيلة وقبلة :
فقد عجبت وما بالدهر من عجب ... انى قتلت وانت الحـازم البطـل
قوله (أنى قتلت) أى كيف قتلت ، و (الثغرة) والثغر بمعنى واحد وهو موضع المخافة ٠ و (كالئها) حافظها و (الهـلوك) من النساء التى تتهالك فى مشيتها أى تتبختر وتتكسر ، وقيل : الهلوك : الفاجـرة التى تتواقع على الرجـال ٠ و (الخيعـل) القميص الذى لا كمى له ، ويقال : امرأة فضل اذا كان عليها قميص ورداء ، وليس عليها ازار ولا سراويل ، والمعنى : انت الذى من شأنه سلوك موضع المخـافة دون رهبـة كالمرأة المتبخترة الفضل ٠

والثغرة منصوبة ، والعـامل فيها (السـالك) كقولك : الضـارب الرجل ، ويجوز فيها الخفض كقولك : الضارب الرجـل ، على التشبيه بالحسن الوجه ، وإذا نصبت الثغرة أو خفضتها اجريت عليها اليقظان نعتا فنصبته أو جررته ، وارتفع به كالئها ، وجاز ذلك لعودة الضمير الى الموصوف ، وقوله (مشى الهلوك) منصوب بتقدير تمشى مشى الهلوك ، وقوله (عليها الخيعل) حال معمولة لتمشى ، أو جملة اعتراضية ٠
وانظـر ديوان الهذليين ــ القسم الثـالث ــ ص : ٣٤ ــ الأمـالى الشجرية ٢ : ٣٠ وما بعدها ٠
(٢) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٨ ٠

قال الرياشي: وهذا مما أخـذ على الأصمعي ، ثم رجع عن هـذا القول ، وقال بعد ، هو من نعت (الهلوك) الاأنه رفعة على الجوار ، كما قالوا : هذا جحر ضب خرب) ٠

ومثل ذلك في العطف قراءة الحسن(٣) « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعون » ٠

عطف الملائكة والنـاس على اسم الله على المعـنى ، لأن التقدير : عليهم أن لعنهم الله ٠

ومثل رفع (الفضل) على النعت للهلوك رفع (المظلوم) على النعت للمعقب في قول لبيد يصف الحمار :

١ ـ حتى تهجـــر في الـرواح وهاجهـا
طلـــب المعقب حقـــــه المظـــــلوم (٤)

والمعقب : الذي يطلب حقه مرة بعد مرة(٥) ٠

وقال ابو حيان(٦) : (قال بعض معاصرينا : اكثرهم يعتقد الجوار مخصوصا بالمجرور ، وقد جاء في المرفوع ، وانشد البيت المتقـدم ، ثم قال : رفعوا (الفضل) اتباعا لـما قبله ، لقربه ٠

---

(٣) آية : ١٦١ من سورة البقرة ، وانظر قراءة الحسن في معاني الفراء ١ : ٩٦ ٠

(٤) تهجر : سـار في وقت الهاجـرة ، وهي نصف النهـار عند اشتداد الحر ـ الرواح : هو الوقت من زوال الشمس الى الليل ، ويقابله الغـدو ـ هاجها : أزعجها ـ المعقب : الذي يطلب حقه مرة بعد أخرى ـ المظلوم : الذي مطله المدين بدين عليه له ٠
والمعنى : يقول : ان هذا الحمار الوحشي تدعجل رواحه الى المـاء وقت اشتداد الهاجرة ، وازعج الأتان ، وطلبها الى المـاء مثل طلب الغريم الذي مطله مدين له ، فهو يلح في طلبه المرة بعد الأخرى ٠
والشاهد فيه (طلب المعقب ٠٠ المظلوم) حيث أضاف المصدر وهـو (طلب) الى فاعله وهو ـ المعقب ـ ثم اتبع الفاعل بالنعت وهو (المظلوم) وجاء بهذا التابع مرفوعا نظرا الى المحل ٠
انظر معاني الفراء ٢ : ٦٦ ، والأمالي الشجرية ٢ : ٣٢ ٠

(٥) انظر قول ابن الشجري المتقدم في أماليه ٢ : ٣٠ وما بعدها.

(٦) انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٩ ٠

قال أبو حيان : قلت : وليس الرفع كما ذكر اتباعا للخيعل بل رفعه على النعت للهلوك على الموضع ، لأن معناه ، كما تمشى الهلوك الفضل ، و (عليها الخيعل) حال معمولة لتمشى ، او جملة اعتراضية) ٠

وقال ابن قتيبة(٧) : التفرة والثغر سواء وهو موضع المخالفة ، والكالىء : الحافظ ، والخيعل : ثوب يخاط أحد جانبيه ، ويترك الآخر ، والهلوك : المتثنية المتكسرة ، والفضل من صفة الهلوك ، وكان ينبغى ان يكون جرا ، ولكنه رفعه على الجوار للخيعل)(٨) ٠

موقف الجمهور :

لم يسلم جمهور النحاة ما ذهب اليه هؤلاء العلماء من جواز الرفع على المجاورة ، وممن تصدى للرد عليهم ابن الشجرى ، وأبو حيان ٠

قال ابن الشجرى(٩) : (وزعم بعض من لا معرفة له بحقائق الاعراب بل لا معرفة له بجملة الاعراب أن أرتفاع (الفضل) على المجاورة للمرفوع فارتكب خطأ فاحشا ٠

وانما (الفضل) نعت للهلوك على المعنى ، لأنها فاعلة من حيث اسند المصدر الذى هو المشى اليها كقولك : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرا ٠

رفعت الطويل ، لأنه وصف لفاعل الضرب ، وان كان مخفوضا فى اللفظ ٠

ولو قلت : عجبت من ضرب زيد الطويل عمرو فنصبت الطويل بانه نعت لزيد على معناه من حيث هو مفعول فى المعنى كان مستقيما ، كما عطف الشاعر عليه المنصوب فى قوله :

---

(٧) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى توفى ببغداد سنة ٢٧٦هـ ٠

(٨) انظر الخزانة ٢ : ٣٢٨ ٠

(٩) هو أبو السعادات هبة الله بن على الشريف البغدادى توفى ببغداد سنة ٥٤٢هـ ٠

١١ ـ قـــد كنت داينت بهـــا حســانا

مخـــــافة الا فــلاس والليـــــانا)(١٠)

ومما تقــدم نعلم ان الرأى الراجح فى ذلك هو رأى الجمهور ، وهو عدم جواز الرفع على المجاورة ، وأما رفع (الفضل) فى البيت المتقــدم فمحمول على المحل ، لأنه صفة لــ (هلوك) كما تقــدم ، وهو كثير وسائغ عن جمهور النحاة ٠

---

(١٠) نسب فى الكتاب الى رؤبة ، وذكر العينى أنه ينسب أيضــا الى زياد العنبرى ٠

و « داينت بها » أخذتها بدلا عن دين لى عنده ، والضمير فى (بها) يعود الى أمة (الليان) بفتح اللام وتشديد الياء : المطل واللى والتسويف فى قضاء الدين ٠

والمعنى : كنت قــد أخذت هــذه الأمة من حســان بدلا عن دين لى عنده ، لمخافتى أن يفلس ، أو يمطلنى فلا يؤديني حقى ٠

والشاهد فيه : قوله (والليانا) حيث عطفه بالنصب على (الافلاس) الذى أضيف المصدر اليه ، نظرا الى محله ٠

انظر الكتاب ١ : ١٩١ ــ الأمالى الشجرية ٢ : ٣١ ٠

المبحث الرابع

المجاورة في باب الجوازم

عامل الجزم في جواب الشرط :

ذهب الكوفيون الى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار .

واختلف البصريون ، فذهب الأكثرون الى أن العامل فيهما حرف الشرط .

وذهب آخرون الى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه . وذهب آخرون الى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط ، وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط(١) .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا انه مجزوم على الجوار ، لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له ، لا يكاد ينفك عنه ، فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم ، فكان مجزوما على الجوار .

والحمل على الجوار كثير قال الله تعالى « لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين »(٢) .

وجه الدليل انه قال (والمشركين) بالخفض على الجوار ، وان كان معطوفا على (الذين) فهو مرفوع ، لأنه اسم يكن .

وقال زهير :

١٢ ـ لعب الرياح بها وغيرها   بعدى سوافي المور والقطر(٣)

---

(١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٢ .
(٢) البينة : ١ .
(٣) السوافي : جمع سافية : وتطلق على الريح التي تسفي التراب ، ويقال ايضا على التراب الذى تسفيه الرياح ، أى تذروه وتطيره وتهيجه . والمور ـ بضم الميم ـ هو التراب ـ والقطر :

فخفض (القطر) على الجوار ، وإن كان ينبغي أن يكون مرفوعا ، لانه معطوف على (سوافي) ، ولا يكون معطوفا على (المور) وهو الخيار ، لانه ليس للقطر سواف كالمور حتى يعطفه عليه ·

(ولو عطف على (المور) للزم أن يكون معمولا لسوافي ، لأن العامل في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه ، ويلزم أن يكون تقدير الكلام : سوافي المور وسوافي القطر ·

ومراد الشاعر أن الذي غير هذه الديار شيئان : أحدهما ـ الريح التي تسفي عليها التراب ، وثانيهما المطر ، وهذا المعنى لا يتأتى إلا بأن يكون (القطر) معطوفا على سوافي مع أنه ليس للمطر سواف ، فيكون مرفوعا في التقدير ، وجره لمجاورته المجرور ، فنقول : القطر معطوف على سواف والمعطوف على المرفوع مرفوع ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة)(٤) ·

وقال الآخـر :

١٢ ـ كأنما ضربت قدام أعينها
قطنا بمستحصد الأوتار محلوج(٥)

=

هو المطر ·

انظر الديوان ص : ٨٦ ، والانصاف ٢ : ٦٠٣ ·

(٤) شرح شواهد الانصاف ٢ : ٦٠٣ للشيخ محيي الدين عبد الحميد ·

(٥) (مستحصد الأوتار) من اضافة الصفة للموصوف ، أي الأوتار المستحصدة ، ومستحصد ـ بكسر الصاد ـ اذا كان قد أحكم فتله وصنعته . وهذا اللفظ يقال في كل ما أحكمت صناعته من الحبال والأوتار والدروع ، وقالوا : هذا رجل محصد الرأي ، أي سديد الرأي ، وقالوا : هذا رأي مستحصد ، أي محكم وثيق وهو في هذا بفتح الصاد · ومحلوج : اسم مفعول من قولهم : حلج القطن يحلجه اذا ندفه ، وقطن حليج ومحلوج : مندوف ، أي قد استخرج منه الحب ، وصانع ذلك هو الحلاج كالعطار والقصاب ·

انظر معاني الفراء ٢ : ٧٤ ـ الانصاف ٢ : ٦٠٥ ·

فخفض (محلوج) على الجوار ، وكان ينبغي ان يقول (محلوجا) لكونه وصفا لقوله (قطنا) ولكنه خفضه على الجوار ٠

وقال لبيـــد :

كأن نسج العنكبوت المرمل(٦)

فخفض (المرمل) على الجوار ، وكان ينبغي ان يقول : (المرمـلا) لكونه وصفا للنسيج ، لا للعنكبوت ٠

ومن ذلك قولهم : جحر ضب خرب ، فخفضوا خربا على الجوار ، وكان ينبغي أن يكون مرفوعا ، لكونه في الحقيقة صفة للجحر لا للضب ، فكذلك ها هنا : جواب الشرط كان ينبغي أن يكون مرفوعا الا أنه جـزم للجوار ، ولهذا اذا حلت بينه وبين فعـل الشرط بالفـاء أو باذا رجـع الى الرفع)(٧) ٠

الجواب عن كلمات الكوفيين :

أما احتجاجهم بقوله تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الـكتاب والمشركين » فلا حجة لهم فيه ، لان قوله (والمشركين) ليس معطوفا على (الذين كفروا) وانما هو معطوف على قوله (من أهل الـكتاب) فتخـاه الجر ، لأنه معطوف على مجرور ، لا على الجوار ٠

وأما قول زهـــير :

بعـــدي ســـوافي المـور والقطـــر

فلا حجة لهم فيه ، لانه معطوف على (المور) وهو الغبـار ، وقولهم « لا يكون معطوفا على (المور) لأنه ليس للقطر سواف » قلنـا : يجـوز أن يكون قـد سمى ما تسفيه الريح منه وقت نزوله سوافي ، كما يسمى ما تسفيه الريح من الغبار سواف ٠

---

(٦) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٤)
(٧) الانصاف ٢ : ٦٠٥ ، ٦٠٧ ٠

وأما قول لبيـــد :

كأن نســـيج العنـكبوت المـــرمل

فنقول : الرواية (المرمل) بكسر الميم ــ فيكون من وصف العنكبوت لا النسيج ، وان كانت الرواية التى ذكرتم صحيحة ، وانه مجـــرور على الجوار ، الا انه لا حجة فيــه ، لأن الحمل على الجوار من الشاذ الذى لا يعرج عليه ٠

وكذلك قوله :

قطنــا بمستحصد الأوتار محـلوج

وقولهم : جحر ضب خــرب ، محمول على الشــذوذ الذى يقتصر فيه على السماع لقلته ، ولا يقــاس عليه ، لأنه ليس كل ما حــكى عنهم يقاس عليه ، ألا ترى أن اللحيانى(٨) حكى أن من العرب من يجزم بلن وينصب بلم ، الى غير ذلك من الشواذ التى لا يلتفت اليها ولا يقاس عليها ، فكذلك ها هنا(٩) ٠

وقال ابن مالك فى شرح التسهيل(١٠) : (اختلف فى الجازم لجواب الشرط فقال الكوفيون : هو مجزوم على الجوار ، كجحر ضب خرب من قولهم : هذا جحر ضب خرب ، وهو باطل لأمور :

أحدها ــ أن الخفض على الجوار لا يكون الا بعد مجرور ٠

ثانيها ــ أن الخفض على الجوار لا يكون الا مع الاتصال ، وجـ الجواب يكون مع الاتصال والانفصال ٠

فعلم انه ليس مجزوما على الجوار) ٠

---

(٨) هو على بن حازم اللحيانى من تلاميذ الكسائى ، صنف كتاب النـــوادر ٠

(٩) الانصاف ٢ : ٦٠٩ ــ ٦١٥ ٠

(١٠) انظر شرح تسهيل الفــوائد وتكميل المقــاصد لابن مالك ــ نسخة مصورة على الميكروفيلم موجودة فى المكتبة المركزية بالجامعــة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) ٠

وأنا أرجح ما ذكره الشيخ محيى الدين عبد الحميد ـ رحمه الله ـ تعليقا على هذه المسألة حيث قال(١١) : (والتحقيق فيه عندى أن يقال : أن (ان) هو العامل فى جواب الشرط بواسطة فعل الشرط ، لأنه لاينفك عنه ، فحرف الشرط يعمل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط ، لا به ، كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والحطب ، فالتسخين انما حصل عند وجودهما لا بهما ، لأن التسخين انما حصل بالنار وحدها ، فكذلك ها هنا ، (ان) هو العامل فى جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا انه عامل معه) ٠

---

(١١) انظر الانصاف ٢ : ٦٠٨ ٠

المبحث الخامس

المجاورة في باب التنازع

القول في أولى العاملين بالعمل في باب التنازع :

ذهب الكوفيون في اعمال العاملين ، نحو « أكرمني وأكرمت زيدا ، وأكرمت وأكرمني زيد » الى أن اعمال الفعل الأول أولى .

وذهب البصريون الى أن اعمال الفعل الثاني أولى .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : (الدليل على أن اعمال الفعل الأول أولى النقل والقياس .

أما النقل فقد جاء ذلك عنهم كثيرا ومنه قول امرىء القيس .

١٤ ـ فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ـ ولم أطلب ـ قليل من المال(١)

---

(١) محل الاستشهاد بالبيت في قوله (كفاني ولم أطلب قليل من المال) فان الكوفيين زعموا أن هذا البيت من باب التنازع ، لتقدم فعلين على اسم واحد ، وقد أعمل الشاعر أول الفعلين ، وهو قوله (كفاني) في الاسم المتأخر فرفعه ، والدليل على ذلك انه لو أعمل الثاني ، وهو (أطلب) لنصب الاسم به ، لأنه يطلب مفعولا .

وهذا الكلام غير صحيح ، لأن شرط التنازع أن يكون كل واحد من العاملين المتقدمين طالبا للمعمول مع صحة المعنى على فرض عمل أيهما فيه .

وفي هذا البيت لا يتم ذلك ، فانك لو قلت : لو ثبت كون سعيي لأدنى معيشة كفاني قليل من المال ، ولم أطلب ذلك القليل ، لكان كلاما متناقضا لا محصول له .

وانما يتم معنى بيت امرىء القيس اذا قدرت لقوله (ولم أطلب) مفعولا يدل عليه البيت بعده ، وتقديره : (ولم أطلب الملك) واذا انضم البيت الى ذلك : ولو ثبت كون سعيي لأدنى معيشة كفاني قليل من المال ، ولم أطلب الملك كان كلاما صحيحا مقبولا .

انظر الديوان ص : ٣٩ والانصاف ١ : ٨٤ ، وقطر الندى ص : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

فأعمل الفعل الأول ، ولو أعمل الثاني لنصب (قليلا) ، وذلك لم يروه أحـد ٠

وأما القياس فهو أن الفعل الاول سابق الفعل الثاني ، وهو صالح للعمل كالفعل الثاني ، الا انه لما كان مبدوءا به كان اعماله أولى ، لقوة الابتداء والعناية به ، ولهذا لا يجوز الغاء (ظننت) اذا وقعت مبتدأة ، نحو : ظننت زيدا قائما بخلاف ما اذا وقعت متوسطة أو متأخرة نحو : زيد ظننت قائم ، وزيد قائم ظننت . وكذلك لا يجوز الغاء (كان) اذا وقعت مبتدأة نحو : كان زيد قائما ، بخلاف ما اذا كانت متوسطة ، نحو : زيد كان قائم فدل أن الابتداء له اثره في تقوية عمل الفعل ٠

والذي يؤيد أن اعمال الأول أولى من الثاني انك اذا أعملت الثاني أدى الى الاضمار قبل الذكر ، والاضمار قبل الذكر لا يجوز في كلامهم)(٢) ٠

(وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أن الاختيار اعمال الفعل الثاني النقل والقياس ٠

أما النقل فقد جاء كثيرا ، قال الله تعالى : « آتوني أفرغ عليه قطرا »(٣) فأعمل الفعل الثاني وهو أفرغ ، ولو أعمل الفعل الأول لقال : أفرغه عليه ، وقال تعالى : « هاؤم اقرءوا كتابيه »(٤) فأعمل الثاني وهو اقرءوا ، ولو أعمل الأول لقال : اقرءوه ٠

وقال الفرزدق :

١٥ ــ ولكن نصفا لو سببت وسبني
بنو عبد شمس من مناف وهاشم(٥)

---

(٢) انظر الانصاف ١ : ٨٣ ــ ٨٧ ٠
(٣) الكهف : ٩٦ ٠
(٤) الحاقة : ١٩ ٠
(٥) النصف ــ بالكسر ــ معناه العدل . والمعنى : ليس من الانصاف أن أساب مقاعسا بآبائي ، وذلك لضعتهم وشرفي . فلا اثم
الانصاف أن أساب مقاعسا بآبائي ، وذلك لضعتهم وشرفي ٠ فلا اثم
=

فاعمل الثاني . ولو أعمل الأول لقال : سببت وسبوني بني عبد شمس ، بنصب (بني) واظهار الضمير في سبني ·

وأما القياس فهو أن الفعل الثاني اقرب الى الاسم من العمل الأول ، وليس في اعماله دون الأول نقض معنى ، فكان اعماله أولى ، ألا ترى انهم قالوا « خشنت بصدره وصدر زيد » فيختارون اعمال الباء في المعطوف ، ولا يختارون اعمال الفعل فيه ، لأنها اقرب اليه منه ، وليس في اعمالها نقض معنى ، فكان اعمالها أولى ·

والذي يدل على أن للقرب أثرا أنه قد حملهم القرب والجوار حتى قالوا : « جحر ضب خرب » فأجروا (خرب) على (ضب) وهو في الحقيقة صفة للجحر ، لأن الضب لا يوصف بالخراب ، فها هنا أولى)(٦) ·

وقال سيبويه(٧) في معرض حديثه عن أولى العاملين بالعمل في باب التنازع : (وهو قولك : ضربت وضربني زيد ، وضربني وضربت زيدا ، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه ·

فالعامل في اللفظ احد العاملين ، وأما في المعنى ، فقد يعلم أن الأول قد وقع(٨) الا انه لا يعمل في اسم واحد نصب ورفع ·

وانما كان الذي يليه أولى لقرب جواره ، وأنه لا ينقض معنى ، وان المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد ، كما كانت : خشنت بصدره(٩) وصدر زيد وجه الكلام ، حيث كان الجسر في الأول ، وكانت الباء أقرب الى الاسم من الفعل ، ولا تنقض معنى ، سووا بينهما في الجر ، كما يستويان في النصب) ·

=

وبنو عبد شمس من أشراف قريش أبوهم عبد مناف ابن قصي ، وهاشم وعبد شمس اخوان توأمان · وهاشم في البيت معطوف على عبد شمس لا على مناف ، وهو شاهد على اعمال العامل الثاني ·

انظر الديوان ص : ٨٤٤ ، والكتاب ١ : ٧٧ ، وانصاف ١ : ٨٧ ·

(٦) انظر الانصاف ١ : ٨٧ ـ ٩٢ ·

(٧) انظر الكتاب ١ : ٧٣ ·

(٨) يعني وقوع الفعل على المفعول من جهة المعنى ·

(٩) خشنت بصدره : أو غرت بصدره ·

الجواب عن كلمات الكوفيين :

بالنسبة لقول امرىء القيس :

فلو ان ما أسعى لأدنى معيشة
كفاني ولم أطلب قليل من المال

فنقول : انما أعمل الأول منهما مراعاة للمعنى ، لأنه لو أعمل الثانى لكان الكلام متناقضا ، وذلك من وجهين ، أحدهما ـ أنه لو أعمل الثانى لكان التقدير فيه : كفانى قليل ولم أطلب قليلا من المال ، وهذا متناقض ، لأنه يخبر تارة بأن سعيه ليس لأدنى معيشة ، وتارة يخبر بأنه يطلب القليل ، وذلك متناقض .

والثانى ـ انه قال فى البيت الذى بعده :

١٦ ـ ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

فلهذا أعمل الأول ولم يعمل الثانى .

وأما قولهم : ان الفعل الأول سابق فوجب اعماله للعناية به ، قلنا : هم وان كانوا يعتنون بالابتداء الا انهم يعتنون بالمقاربة والجوار اكثر .

وأما قولهم : لو أعملنا الثانى لأدى الى الاضمار قبل الذكر ، قلنا : انما جوزنا ها هنا الاضمار قبل الذكر ، لأن ما بعده يفسره ، لأنهم قد يستغنون ببعض الألفاظ عن بعض اذا كان فى الملفوظ دلالة على المحذوف لعلم المخاطب ، قال تعالى : « والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات »(١٠) فلم يعمل الآخر فيما أعمل فيه الأول استغناء عنه بما ذكره قبل ، ولعلم المخاطب أن الثانى قد دخل فى حكم الأول ، وقال تعالى « أن الله برىء من المشركين ورسوله »(١١) فاستغنى بذكر خبر الأول عن ذكر خبر الثانى ، لعلم المخاطب أن الثانى قد دخل فى ذلك(١٢) .

---

(١٠) الأحزاب : ٣٥ .   (١١) التوبة : ٣ .
(١٢) انظر الانصاف ١ : ٩٢ ، ٩٣ .

(والمدقق فى مثل هذه المسألة يرى أن الشواهد الواردة عن العرب المحتج بكلامهم ، قد عمل العامل الأول فى بعضها ، وعمل الثانى فى بعضها الآخر ٠

ومن هنا فقد تكافأ العاملان فى جواز الاعمال ، ولم يبق أحدهما أولى من أخيه ، فأما سبق الأول صاحبه ، وقرب الآخر من المعمول فلا يفيد ، فانا نعلم أن الافعال تعمل متقدمة على المعمول ومتأخرة عنه ، وتعمل متصلة بمعمولها ومفصلة منه ، وذلك كله واقع فى أفصح كلام ، فليس لواحد من الفريقيين أن يدعى أن الاستعمال العربى يؤيده وحده ، لأن الاستعمال العربى يؤيد كل واحد منهما ، والأولى عدم الترجيح فى مثل هذه القضية ، فان لكل منهما مستندا من التعليل والقياس لا من الاستعمال العربى)(١٣) ٠

---

(١٣) انظر تعليق الشيخ محيى الدين على شواهد الانصاف ١ : ٨٨ ، ٩٠ ٠

المبحث السادس

المجـاورة في باب الاضافة

ما يكتسبه المضاف بالمجاورة :

قـد يكتسب المضـاف المذكر التانيث من المضـاف اليـه المؤنث ، ويشترط في ذلك أمران :

الأول ـ أن يكون المضاف صالحا للحذف ، واقامة المضاف اليـه مقامة مع صحة المعنى ·

الثـاني ـ أن يكون المضاف بعضا من المضاف اليـه أو كبعضه ، أو كلا له ·

فمن الأول قوله تعالى « فله عشر امثالها »(١٤) ، فحذفت التـاء من (عشر) وهي مضافة الى الأمثـال ، وهي مذكرة ، ولكن لـمـا جاورت الأمثال الضمير المؤنث أجرى عليها حكمه(١٥) ·

وقال جـــرير :

١٧ ـ لـمـا اتى خـــبر الزبير تضعضعت
سـور المدينة والجبـــال الخشـــع(١٦)

فالحق بالفعل (تضعضعت) تاء التـانيث مع ان فاعله مذكر وهـو (سور) ولكن لـمـا جاور (المدينة) المؤنثة اكتسب التانيث منها ·

ومن ذلك ايضا قولهم : ذهبت بعض أصابعه ، فـ (بعض) فاعـل (ذهبت) ولحقت فعله تاء التانيث ، لكونه بعض المضاف اليه ، فاكتسب المضاف وهو (بعض) التانيث من المضاف اليه ، وهو (الأصابع) لصحة

---

(١٤) الأنعـام : ١٦٠ ·
(١٥) انظر التبيـان ١ : ٤٢٣ ·
(١٦) انظر الديوان ص : ٣٤٥ ، وفيه تواضعت بدل تضعضعت ·

الاستغناء بالأصابع عنه فتقول : ذهبت أصابعه ، تعبيرا بالكل عن الجـــزء ٠

وقال الأعشى :

١٨ ــ وتشرق بالقول الذى قد أذعته
كما شرقت صدر القناة من الدم(١٧)

فالحق بالفعل (شرقت) تاء التانيث مع أن فاعله مذكر وهو (صدر) والقياس (شرق) ، ولكن لما كان الصدر الذى هو مضاف بعض المضاف اليه وهو القناة اكتسب التانيث منه ٠

ومن الثاني قول ذى الرمة :

١٩ ــ مشين كما اهتزت رماح تسفهت
أعاليها مر الرياح النواسم(١٨)

فقد الحق الشاعر بالفعل وهو (تسفه) علامة التانيث مع أن فاعله مذكر وهو (مر) ، لأنه اكتسب التانيث من المضاف اليه ، والشرطان موجودان ، لأن المضاف وهو (مر) كالبعض ، ويصح المعنى بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فتقول : تسفهت الرياح ٠

ومن الثالث قوله تعالى « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا »(١٩) فقد الحق بالفعل وهو (تجد) علامة التانيث وهى تاء

---

(١٧) (تشرق) و (شرقت) يقال : شرق فلان بالماء يشرق من باب علم ، أى غص (القناة) الرمح ، وصدرها أعلاها الذى يلى السنان ، أى يعود عليك مكروه ما اذعت عنى من القول ٠
انظر الديوان ص : ١٨٣ ــ الأشموني ٢ : ٢٤٨ ــ الكتاب ١ : ٥٢ ٠

(١٨) تسفهت : أمالت (أعاليها) جمع أعلى وهو الطرف العالى (النواسم) جمع ناسمة وهو أول الريح حين تهب بلين ، وأراد من الرماح الأغصان ٠ والمعنى : أن هؤلاء النسوة قد مشين فى اهتزاز وتمايل ، فهن يحاكين رماحا أو غصونا ــ مرت بها ريح فأمالتها
انظر الديوان ص : ٦٩٥ ٠

(١٩) آل عمران : ٣٠ ٠

المضارعة مع أن فاعله مذكر وهو (كل) ، لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو (نفس) ، ويصح المعنى بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فتقول : يوم تجد نفس ·

وقول عنترة :

٢٠ ـ جادت عليه كل عين ثرة　　فتركن كل حديقة كالدرهم(٢٠)

فقد لحقت الفعل وهو جادت تاء التأنيث مع كون فاعله مذكرا وهو (كل) لأنه اكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو (عين) ·

وقد يكتسب المضاف المؤنث التذكير من المضاف اليه المذكر كقول الشاعر :

٢١ ـ انارة العقل مكسوف بطوع هوى
وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا(٢١)

فذكر (مكسوف) مع أنه خبر عن مؤنث وهو (انارة) ، لأنه اكتسب التذكير من اضافته الى العقل المذكر ·

وقيل : أن من ذلك قوله تعالى « ان رحمة الله قريب من

---

(٢٠) الضمير فى (عليه) يرجع الى النبت فى البيت السابق (عين) سحابة تأتى من جهة العراق أو مطر أيام لا يقلع · (ثرة) كثيرة الماء (حديقة) المراد بها هنا الأرض المرتفعة (كالدرهم) فى الاستدارة والبياض ·

انظر الأشمونى ٢ : ٢٤٨ ·

(٢١) (انارة) هو فى الأصل مصدر قولك : انار القمر ونحوه اذا أضاء (العقل) هو الغريزة التى بها يدرك الانسان الأشياء (مكسوف) هو الوصف من قولك : كسفت الشمس بالبناء للمجهول اذا ذهب نورها · (بطوع هوى) طوع ـ بفتح الطاء وسكون الواو ـ أى الطاعة والانقياد · والهوى : شهوة النفس وميلها الى ما تحبه ، وأراد بسبب انطلاقه وراء شهوات نفسه الموبقة · والمعنى : اذا جرى الانسان وراء شهوات نفسه ، وانطلق خلف أغراضه ضعف عقله الذى به يدرك الأشياء وغطى على نوره الربانى الذى تفيضه عليه الطاعة ·

انظر أوضح المسالك ٢ : ١٨١ ـ الأشمونى ٢ : ٢٤٨ ·

المحسنين »(٢٢) فالرحمة مؤنثة واكتسبت التذكير من اضافتها الى لفظ الجلالة ، فاخبر عنها بقريب المذكر ، وكان القياس أن يقال : قريبة ٠

ورد هذا القول بقوله تعالى « لعل الساعة قريب »(٢٣) حيث ذكره بلا اضافة ٠ فالاوجه ان التذكير فى الآيتين لاجراء فعيل بمعنى فاعل مجرى فعيل بمعنى مفعول فى أنه يستوى فيه المذكر والمؤنث ٠

أو لكون فعيل على وزن المصدر كصهيل ، والمصدر يخبر به عن المذكر والمؤنث ، فكذا ما وازنه ٠

فان فقد الشرطان المذكوران لم يكتسب المضاف التانيث أو التذكير من المضاف اليه فلا تقول : حضرت ابن زينب ، ولا قام امرأة محمد ، لان المضاف لا يصلح للاستغناء عنه بالمضاف اليه ، ولا تقول : أعجبتنى يوم العروبة (الجمعة) ، لأنه وان صح الاستغناء عن المضاف بالمضاف اليه ، فتقول : أعجبتنى العروبة فليس المضاف كلا ولا بعضا للمضاف اليه ولا كبعضه ، لان اليوم هو نفس العروبة ٠

وقال العكبرى(٢٤) : (ومما راعت العرب فيه الجوار قولهم : قامت هند ، فلم يجيزوا حذف التاء اذا لم يفصل بينهما ، فان فصلوا بينهما اجازوا حذفها ، ولا فرق بينهما الا المجاورة وعدم المجاورة)(٢٥) ٠

---

(٢٢) الأعراف : ٥٦ ٠
(٢٣) الشورى : ١٧ ٠
(٢٤) هو أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسن أصله من عكبر (بليدة على دجلة فوق بغداد) توفى ببغداد سنة ٦١٦هـ وقد قارب الثمانين ٠
(٢٥) انظر التبيان ١ : ٤٢٢ ٠

المبحث السابع

المجاورة في باب الأحوال والأزمنة

من شرط الفعل اذا نصب ظرفا أن يكون واقعا فيه ، أو في بعضه ، كقولك : صمت يوما ، وسرت فرسخا ، وزرتك يوم الجمعة ، وجلست عندك ·

فكل واحد من هذه الأفعال واقع في الظرف الذي نصبه لا محالة ·

وأحيانا ينصب الفعل الظرف ولا يكون واقعا فيه ، وانما هو يقع فيما يلي الظرف ولكن بسبب المجاورة الزمانية صارا كأنهما وقعا في وقت واحد ·

ومن ذلك قولهم : أحسنت اليه اذ أطاعني ، وأنت لم تحسن اليه في أول وقت الطاعة ، وانما أحسنت اليه بعد تمامها ، ألا ترى أن الاحسان مسبب عن الطاعة ، وهي كالعلة له ، ولا بد من تقدم وقت السبب على وقت المسبب ، كما لا بد من ذلك مع العلة · لكنه لما تقارب الزمانان ، وتجاورت الحالان في الطاعة والاحسان ، أو الطاعة واستحقاق الاحسان صارا كأنهما وقعا في زمان واحد كما أسلفنا ·

والدليل على ذلك أن (لما) من قولك : لما أطاعني أحسنت اليه ، انما هي منصوبة بالاحسان ، وظرف له ، كقولك : أحسنت اليه وقت طاعته ، وأنت لم تحسن اليه لأول وقت الطاعة ، وانما كان الاحسان عقب الطاعة ، أي بعد أن أطاعة ، لكن لما كان الثاني مسببا عن الأول وتاليا له ، فاقتربت الحالان ، وتجاور الزمانان ، صار الاحسان كأنه هو والطاعة في زمان واحد ، فعمل الاحسان في الزمان الذي يجاوز وقته ، كما يعمل في الزمان الواقع فيه هو نفسه ·

وقال بن جـنى(١) :

(ولـما اطرد هـذا فى كلامهم وكثر على السنتهم وفى استعمالهم تجاوزوه واتسعوا فيه الى ما تناءت حالاه ، وتفاوت زماناه ، وذلك كان يقول رجل بمصر فى رجل آخر بخراسان : لما ساءت حاله حسنتها ، ولـما اختلت معيشته عمرتها ، ولعله أن يكون بين هاتين الحالين السنة والسنتان .

فان قلت : فلعل هذا مما اكتفى فيه بذكر السبب ، وهو المعرفة بسوء حالة واختلال معيشته ، أما المسبب عنه وهو التغيير والاصلاح فيكون متراخيا ، فكأنه قال : لـما عرفت اختلال حالة عمرتها .

قيل : ولو كان الأمر على ذلك لـما عدوت ما كنا عليه ، ألا ترى انه قد يعرف ذلك من حال صاحبه ، وهو معه فى بلد واحد بل منزل واحد فيكون بين المعرفة بذلك والتغيير له الشهر والشهران أو اكثر ، فكيف بمن بينه وبينه الشقة الشاسعة المحتاجة الى المدة المتراخية) .

وبعد هذا قال ابن جنى(٢) : (وعلى هـذا يتوجـه عندى قول الله ـ سبحانه ـ « ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون »(٣) .

وذلك أن تجعل (اذ) بدلا من قوله (اليوم) والا بقيت بلا ناصب . وجاز ابدال (اذ) وهو ماض فى الدنيا من قوله (اليوم) وهو حينئذ حاضر فى الآخرة ، لأنه لما كان عدم الانتفاع بالاشتراك فى العذاب انما هو مسبب عن الظلم ، وكانت ـ أيضا ـ الآخرة تلى الدنيا بلا وقفة ولا فصل صار الوقتان على تباينهما وتنائيهما كالوقتين المقترنين الدانيين المتلاصقين نحو :

أحسنت اليه اذ شكرنى ، وأعطيته حين سألنى .

وهذا أمر استقر بينى وبين أبى على(٤) ـ رحمه الله ـ .

---

(١) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٣ .
(٢) انظر الخصائص ٣ : ٢٢٤ .
(٣) الزخرف : ٣٩ .
(٤) هو أبو على الحسن بن أحمد الفارسى نشأ فى بلاد فارس ، وتوفى ببغداد سنة ٣٧٧هـ ، عن نيف وتسعين سنة .

وانما جاء هذا النحو في الأزمنة دون الأمكنة من حيث كان كل جزء من الزمان لا يجتمع مع جزء آخر منه ، انما يلي الثاني الاول خلفا له ، وعوضا عنه ، فصار الوقتان كأنهما واحد ، وليس كذلك المكان ، لأن المكانين يوجدان في الوقت الواحد ، بل في أوقات كثيرة غير منقضية ٠

فلما كان المكان بل الأمكنة كلها تجتمع في الوقت الواحد والأوقات كلها لم يقم بعضها مقام بعض ، ولم يجر مجراه ، فلهذا لا تقول : جلست في البيت من خارج أسكفته(٥) ، وان كان ذلك موضعا يجاوز البيت ويماسه ، لأن البيت لا يعدم(٦) فيكون خارج بابه ، خالفا في الوجود له ، كما يعدم الوقت فيعرض منه ما بعده)(٧) ٠

---

(٥) أسكفة البـاب : عتبته ٠

(٦) يقصد بذلك انك لا يصح ان تقول : جلست في البيت من خارج عتبته قاصدا بذلك الجلوس في البيت ، وتكون عتبة البيت نائبة عن البيت في الوجود ، لأن البيت موجود وعتبته موجودة ، ويجتمعان في الوقت

(٧) انظر الخصائص ٢ : ٢٢٤ ٠

الفصل الثالث

المجاورة في المسائل التصريفية

المجاورة فى المسائل التصريفية

لم يكن اثر الجوار قاصرا على الجانب النحوى فقط ، وانما تعداه ليشمل الجانب التصريفى أيضا ٠

ومن ذلك :

١ ـ الجوار بين الواو والكسرة ٠

٢ ـ الجوار بين عين الكلمة ولامها ٠

٣ ـ قلب الحرف للتناسب ٠

٤ ـ قلب الواو المجاورة للطرف همزة ٠

٥ ـ مجاورة الواو للضمة ٠

أولا ـ الجوار بين الواو والكسرة :

من ذلك قولهم : قنية ، وصبية ، وفلان من عليه الناس ، وهو ابن عمى دنيا ، وصبيان ٠

وأصل (قنية من قنوت ، وصبية من صبوت وكذا صبيان ، وعليه من علوت ، ودنيا من دنوت ٠

وقياسه : قنوة ، وصبوة وصبوان ، وعلوة ، ودنوا ٠

ولكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها صارت الكسرة كأنها قبل الواو ، ولم يعتبر الساكن حاجزا لضعفه ٠

ونظير هذا قولهم : اقتل ، ادخل حيث ضموا الهمزة لضمة العين ، ولم يعتدوا بالفاء حاجزا لسكونها فصارت الهمزة لذلك كأنها قبل العين المضمومة ، فضمت كراهة الخروج من كسر الى ضم(١) ٠

---

(١) انظر المنصف ٢ : ٢ ٠

ثانيا ـ الجوار بين عين الكلمة ولامها :

ومن ذلك قولهم فى صوم : صيم قال سيبويه(٢) (والواو تقلب ياء فى فعل ، وذلك قولهم : صيم فى صوم ، وقيم فى قوم ، وقيل فى قول ، ونيم فى نوم • لما كانت الياء أخف عليهم وكانت بعد ضمة ، شبهوها بقولهم : عتى فى عتو ، وجثى فى جثو ، وعصى فى عصو •

وقد قالوا أيضا : صيم ونيم ، كما قالوا : عتى وعصى • ولم يعدلوا فى زوار وصوام ، لأنهم شبهوا الواو فى صيم بها فى عتو اذ كانت لاما وقبل اللام واو زائدة • وكلما تباعدت من آخر الحرف بعد شبهها وقويت) •

ومن أمثلة القلب فى (فعل) قول الحادرة :

٢٢ ـ ومعرص تغلى المراجل تحته
بادرت طبخته لرهط جيع(٣)

يريد جوعا •

ثالثا ـ قلب الحرف للتناسب :

من قلب الحروف قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « ارجعن مأزورات غير مأجورات »(٤) • والأصل موزورات ـ بالواو ـ لأنه من الوزر •

---

(٢) انظر الكتاب ٤ : ٣٦٢ •

(٣) (معرص) ـ بضم الميم وفتح العين والراء المشددة ـ هو اللحم الملقى فى العرصة للجفاف ، والعرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع العراص والعرصات • (المراجل) جمع مرجل وهو القدر من النحاس •
والشاهد فى قوله (جيع) فان أصله جوع ، لأنه من الأجوف الواوى فأبدلت الياء من الواو وهو جمع جائع •
ووجه ذلك أن العين شبهت باللام لقربها من الطرف ، فأعلت كما تعل اللام ، فقلبت الواو الأخيرة ياء ، ثم قلبت الواو الأولى ياء وأدغمت الياء فى الياء ، ومع كثرته التصحيح أكثر منه نحو : نوم وصوم •
انظر الخصائص ٣ : ٢١٨ ـ المنصف ٢ : ٣ ـ الأشمونى ٤ : ٣٢٨ •

(٤) المذكور جزء من حديث ذكره ابن ماجه وتمامه « شرح =

فهمز الأول لتناسب همز الثـاني ومشاكلته ، أى ارجعن وعليكن الوزر لا الأجـر ٠

وقولهم : انى لآتيه بالغداديا والعشايا هـو لازدواج الكلام(٥) ، كما قالوا : هنأنى الطعام ومرأنى ، وانما هو أمرأنى(٦) ٠

رابعـا ـ قلب الواو المجاورة للطرف همزة :

من ذلك قولهم فى (أواول) اوائل ، بقلب الواو الثـانية همـزة ، لقربها من الطرف ، فاذا بعدت عن الطرف لا تقلب نحو : طواويس ٠

وهذا موضع من مواضع ابدال الواو والياء همزة وجوبا ، وهو أن تقع احداهما ثانى حرفى علة توسطت بينهما الف شبه مفاعل سواء كان حرفا العلة واوين نحو : اوائل جمع أول ٠

وأصل هذا الجمع (أواول) فابدلت الواو الثانية همزة ، أم ياءين نحو نيائف جمع نيف (وهو ما زاد على العقد الى العقد الثانى) من ناف ينيف اذا زاد ، فياؤه أصـلية ، وقيل من ناف ينوف ، فأصله : نيوف ، اجتمعت الواو والياء وسبقت الياء بالسكون ، فقلبت الواو ياء وأدغمت اليـاء فى الياء ٠

أم كانا مختلفين نحو : سيائد جمع سيد ، وأصل الجمع سياود ، ونحو بوائع جمع بائعة وأصل الجمع بوايع ٠

=

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاذا نسوة جلوس فقال : ما يجلسكن ؟ قلن ننتظر الجنـازة قال : هل تغسلن ؟ قلن لا ، قال : هـل تحملن ؟ قـلن لا ، قال : هـل تدلين فيمن يدلى ؟ قلن لا ، قال : فارجعن مأزورات غير مأجـورات ٠

انظر سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١ : ٥٠٢ ٠

(٥) يقال : اتيـك غـداة غـد ، والجمع الغـدوات مثـل : قطاة وقطـــوات ٠

وانظر الصحاح ٦ : ٢٤٤٤ ٠

(٦) هنأنى ومرأنى أى جعـل عيشى مـريئا ، أى حمد المعيشـة مستحسنا الا أن الهمزة حذفت منـه عند اقترانـه بهنأنى طلبا للمشاكلة ٠

وانظر حاشية حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ٢ : ٣٠٢ ٠

ويشترط فى بقاء هذه الهمزة أيضا أن تكون اللام حـرفا صحيحا غير همزة ٠

فان توسطت بينهما الف شبه مفاعيل وجب تصحيح ثانى حـرفى العلة لبعده حينئذ عن الطرف ، كما فى طواويس جمع طاووس ٠

فلما كانت كل من الواو والياء قريبة من الطرف قلبتا همزة ، كما لو وقعتا طرفين ، وذلك اذا تطرفت احداهما بعد ألف زائدة حقيقة نحو : دعاء وسماء وبناء وفناء ٠ والأصل : دعاو ، وسماو ، وبناى ، وفناى ، فأبدلت الواو والياء فيهن همزة ، أو حكما بأن كان بعـد احداهما تاء تأنيث أو علامة تثنية عارضتان نحـو : بناءة مؤنث بناء ، وكساءين تثنية كساء (٧) ٠

خامسا ــ مجــاورة الواو للضمة :

من ذلك قول جـرير :

٢٣ ــ أحـــب المؤقـــدين الى مؤســـى
وجعـــدة اذا أضـــاءهما الوقـــود (٨)

---

(٧) راجع الأشـمونى ٤ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، والتبيـان فى اعـراب القرآن ١ : ٤٢٣ ٠

(٨) البيت ــ لجرير من قصـيدة يمـدح بهـا هشـام بن عبد الملك المروانى ، وموسى وجعدة : ولدا جرير ، وروى ابن جنى صدره فى سر الصناعة "أحب المؤقدين" بصيغة أفعل التفضيل ، فيكون (أحب) مبتدأ مضافا الى (المؤقدين) بالجمع ، و (مؤسى) خبره ، ورواه فى الخصـائص وفى شرح تصريف المـازنى وفى المحتسـب "لحب المؤقدان" فتكون اللام فى جـواب قسم محـذوف و (حب) للمـدح والتعجب ، وأصلها حبب ــ بفتح العين ــ فعـل متعـد كقـول غيـلان النهشـلى :

فوالله لولا تمره مـا حببته ... ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

ثم نقل الى باب فعل ــ بالضم ــ للمدح للالحاق بنعم ٠ و (المؤقدان) فاعل حب ، (مؤسى وجعدة) هو المخصوص بالمدح و (الى) بمعنى عند و (اذا) ظرف متعلق بحب ، و (أضاءهما) بمعنى أنارهما وأظهرهما ٠ ويأتى أضاء لازما ، يقال : أضاء الشىء بمعنى أشرق ، والاسم الضياء ٠ و (الوقود) بالضم مصـدر وقـدت النـار : أى اشتعلت ، و (الوقود)

(وى بهمــز (المؤقــدين) و (مؤمى) ، حــكاه ابن جــنى فى سـر الصناعة(٩) عن أبى على ، قال : وروى قنبـل عن ابن كثير(بالسؤق) بهمزة الواو(١٠) ٠

ووجـه ذلك ان الواو ، وان كنت سـاكنة فانها قـد جاورت ضمة الميم ، فصارت الضمة كانها فيها ، فمن حيث همزت الواو فى نحو (أقتت) و (أجـوة) ، لانضمامها كذلك كان همز الواو فى المؤقدين ومؤسى ٠

وقال فى المحتسب(١١) : همــز الواو فى الموضـعين جمـيعا من البيت ، لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما فصارت الضمة كانها فيهما ٠

والواو اذا انضمت ضما لازما فهمزها جائز نحو (أقتت) فى وقتت ، و (اجوه) فى وجوه(١٢) ، ونظائر ذلك كثير ٠

وقال ابن جنى فى شرح تصريف المــازنى(١٣) ـ بعد انشاد البيت : (همز الواو الساكنة ، لانه توهم الضمة قبلها فيها ، وانما يجوز مثل هذا الغلط منهم لـما يستهويهم من الشبه ، لأنهم ليست لهم قياسات يعتصمون

بالفتح الحطب الذى يوقد ، وقد روى هنـا بالوجهين ، واريد به هنـا وقود نار القرى ، كما هو عادة العــرب ، يوقــد الـكريم منهم نارا على موضع عال ليهتدى بها اليه الغريب والمسافر فياتى الى قراه ٠ والشاعر قـد وصف ابنية ونفسه بالـــكرم ، حيث جعــل محبته لهمـا من حين اشتهارهما بالكرم ٠

انظر شرح ديوان جـرير ص : ١٧٤ ـ شرح شـواهد الشـــافية ٤ : ٤٢٩ ٠

(٩) انظر سر صناعة الاعراب ص : ٩٠ ٠

(١٠) من قوله تعالى « ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق » اية : ٣٣ من سورة ص ٠

(١١) ١ : ٨٤ ٠

(١٢) من مواضــع ابدال الواو همزة جـوازا ، أن تـكون الواو مضمومة ضمة لازمة غير مشددة سواء كانت أول الكلمة نحـو : أجـوه جمع وجه ، وأصله وجوه ، أم لم تكن فى أول الـكلمة نحو : أدؤر جمع دار ، وأنؤر جمع نار ، والأصل : أدور وأنور ٠

ونحو : سؤوق جمع ساق ، وقؤول مبالغة فى قائل ٠

(١٣) انظر المنصف ١ : ٣١١ ٠

بها ، وانما يميلون الى طباعهم ، فمن أجل ذلك قرأ الحسن البصرى « وما تنزلت به الشياطون »(١٤) لأنه توهمه جمع التصحيح نحو : الزيدون ، وليس منه ٠

وكذلك قراءته « ولا ادراتكم به »(١٥) جاء به كأنه من درأته ، وليس منه انما هو من دريت الشيء : علمت به ٠

وكذلك قراءة من قرأ « عادا لؤلى »(١٦) فهمز فهو خطأ منه بمنزلة قول الشاعر :

لحب المؤقدان الى مؤسى

فهمز الواو الساكنة ، لأنه توهم الضمة قبلها فيها ، ولهذا الغلط فى كلامهم نظائر فاذا جاء فاعرفه لتستعمله كما سمعته ولا تقس عليه) ٠

---

(١٤) الشعراء : ٢١٠

(١٥) من قوله تعالى « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به » من الآية : ١٦ من سورة يونس ، وانظر معانى الفراء ١ : ٤٥٩ ٠

(١٦) من قوله تعالى « وأنه أهلك عادا الأولى » آية : ٥٠ من سورة النجم ٠

وفى البحر ٨ : ١٦٩ : وهمز قالون عين الأولى بدل الواو الساكنة، ولما لم يكن بين الضمة والواو حائل تخيل أن الضمة على الواو فهمزها ٠

الفصل الرابع

القول بالمجاورة فى القرآن الكريم

المبحث الأول

الجـر على الجـوار فى العطف

ذهب كثير من العلماء الى أن الخفض على الجـوار لا يحسن فى المعطوف ، لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة ·

ويرى فريق آخـر أن العطف على الجوار ليس بممتنع أن يقع فى القران الكريم ، بل ان ذلك واردو كثير ·

ومن ذلك قوله تعالى :

« يايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايدكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين »(١) ·

فقد قرأ نافع وابن عامـر ، والكسائى ، وحفص بالنصب ، وقـرأ الباقون بالخفض(٢) ·

ومن هنا اختلفت كلمة العلماء فى توجيه قراءة جـر (الأرجـل) ايكون الجر بسبب مجاورة (الرءوس) المجرورة ، وان اختلف الحـكم ، فيكون العطف على (الرءوس) من ناحية اللفظ والمعنى للغسل ·

وهؤلاء هم الذين قالوا بجواز الجر على الجوار فى العطف ، ومن باب اولى فهو جائز عندهم فى النعت ·

أم أن (الأرجـل) معطوفة على (الرءوس) عطفـا حقيقيا باللفـظ والمعنى ، وأما وجوب غسل الرجلين فيفهم ويؤخـذ من اللغة واحـاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والاجماع ·

وهؤلاء هم الرافضون لظاهرة الجر على الجوار فى القـرآن الكريم سواء كان ذلك فى العطف أم فى النعت ·

---

(١) من الآية : ٦ من سورة المائدة ·
(٢) انظر الكشف ١ : ٤٠٦ ·

فممن قال بالرأى الأول : الزجاج ، والنحاس ، وأبو حيان والآلوسى .

وممن قل بالرأى الثانى : الفراء ، وأبو عبيدة ، والأخفش ، والعكبرى .

أولا ـ آراء المجيزين :

١ ـ قال أبو عبيدة(٣) فى مجاز القرآن : (وأرجلكم) مجرورة بالمجرورة التى قبلها ، وهى مشتركة بالكلام الأول من المغسول .

والعرب قد تفعل هذا بالجوار ، والمعنى على الأول ، فكان موضعه : واغسلوا أرجلكم(٤) .

وقال الأخفش(٥) فى معانى القرآن(٦) : (« وأرجلكم » بالنصب ، حيث رد الى الغسل فى قراءة بعضهم ، لأنه قال : « فاغسلوا وجوهكم » .

وقال بعضهم : (وأرجلكم) على المسح ، أى وامسحوا بأرجلكم ، وهذا لا يعرفه الناس . وقال ابن عباس : المسح على الرجلين يجزىء .

ويجوز الجر على الاتباع ، وهو فى المعنى الغسل ، نحو : هذا جحر ضب خرب .

والنصب أسلم وأجود من هذا الاضطرار ، ومثله قول العرب :

أكلت خبزا ولبنا ، واللبن لا يؤكل .

---

(٣) هو معمر بن المثنى ولد سنة ١١٠ هـ ، وتوفى بين سنة ٢٠٩ ، ٢١٣ .
(٤) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ .
(٥) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة توفى ببغداد سنة ٢١٥هـ .
(٦) انظر معانى القرآن ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

قال الشاعر :

٢٤ ـ ياليت زوجك قد غدا   متقلدا سيفا ورمحا)(٧)

وقال العكبرى(٨) فى التبيان : (قرىء (وأرجلكم) بالجر وهو مشهور ـ أيضا ـ كشهرة النصب وفيها وجهان :

احدها ـ انها معطوفة على الرءوس) فى الاعراب ، والحكم مختلف ، فالرءوس ممسوحة ، والأرجل مغسولة وهو الاعراب الذى يقال فيه هو على الجوار • وليس بممتنع أن يقع فى القرآن لكثرته •

والوجه الثانى ـ أن يكون جر الأرجل بجار محذوف تقديره : وافعلوا بأرجلكم غسلا ، وحذف الجار وابقاء الجر جائز •

قال الشاعر :

٢٥ ـ مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها(٩)

وقال زهير :

---

(٧) البيت لعبد الله الزبعرى القرشى ، شاعر خبيث ، كان مؤذيا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسانه ، ثم أسلم واعتذر اليه •
والمعنى : متقلدا سيفا وحاملا رمحا ، لأنه يقال : تقلد فلان سيفه ولا يقال : تقلد رمحه ، وانما يقال : حمل رمحه •
انظر معانى الأخفش ١ : ٢٥٥ ـ معانى الفراء ١ : ١٢١ ـ الأمالى الشجرية ٢ : ٣٢١ •

(٨) هو أبو البقاء عبد الله الضرير بن الحسين توفى ببغداد سنة ٦١٦هـ •

(٩) قاله الأحوص الرياحى يهجو بنى يربوع يتسبهم الى الشؤم وقلة الصلاح والخير ، وأنهم لا يصلحون أمر العشيرة اذا ما فسد ما بينهم ، فغرابهم لا ينعب الا بالبين والفرقة •
والشاهد فيه حمل (ناعب) على المعنى ، أى ليسوا بمصلحين ولا ناعب •
انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ ـ الخزانة ٢ : ١٤٠ •

٢٦ ـ بدالي اني لست مـــدرك ما مضى
ولا ســـابق شـيئا اذا كان جائيـا(١٠)
فجر بتقدير البـاء وليس بموضع ضرورة)(١١) ٠

والزمخشرى(١٢) وان لم يصرح في هذه الآية بالجر على الجوار الا ان ظاهر كلامه يفيد ذلك ، فقـد قال في الكشاف : (فان قلت : فمـا تصنع بقراءة الجر ودخـولها في حـكم المسح ؟ قلت : الأرجـل من بين الأعضاء الثلاثة المغسـولة تغسـل بصب المـاء عليهـا ، فـكانت مظنة الاسراف المذموم المنهي عنـه ، فعطفت على الثالث الممسـوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب المـاء عليها ٠

وقيـل (الى الـكعبين) فجيء بالغـاية اماطـة لظن ظـان يحسبها ممسوحة ، لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة)(١٣) ٠

ارا‌ء المـانعين :

قال الزجاج(١٤) في معـاني القـرآن(١٥) : (قـرئ (وأرجلـكم) بالنصب ، وقد قرئت بالخفض ، وكلا الوجهين جائز في العربية ٠

فمن قـرأ بالنصب فالمعنى : فاغسـلوا وجـوهكم وأيديـكم الى المرافق ، وارجلـكم الى الـكعبين ، وامسحوا برءوسـكم على التقـديم والتأخير ، والواو جائز فيها ذلك ، كما قال ـ جـل وعـز ـ « يا مـريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين »(١٦) ٠

---

(١٠) استشهد به سيبويه على صحة الحمل على المعنى فان معناه : لست بمدرك ولا سابق ٠
والمعنى : أن الانسان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ٠
انظر الكتاب ١ : ٣٠٦ ـ ديوان زهير ص : ٢٨٧ ٠
(١١) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ٠
(١٢) هو محمود بن عمر جاد الله الزمخشرى ، ولد بزمخشر بلد بخوارزم توفى سنة ٥٣٨هـ ٠
(١٣) انظر الكشاف ١ : ٣٢٦ ٠
(١٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السرى ، ولقب بالزجـاج ، لانه كان يخرط الزجاج توفى ببغداد سنة ٣١٠هـ ٠
(١٥) انظر معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢ : ١٦٧ وما بعدها ٠
(١٦) آل عمران : ٤٣ ٠

والمعنى : واركعى واسجدى ، لأن الركوع قبل السجود ٠

ومن قرأ (وأرجلكم) بالجر عطف على الرءوس ، وقال بعضهم : نزل جبريل بالمسح والسنة الغسل(١٧) ٠

وقال بعض أهل اللغة : هو جر على الجوار ٠

فأما الخفض على الجوار فلا يكون في كلمات الله ٠

ويجوز (وأرجلكم) بالجر على معنى واغسلوا ، لأن قوله (الى الكعبين) قد دل على ذلك كما وصفنا ، وينسق بالغسل على المسح كقول الشاعر :

يا ليت بعلك قد غدا　　متقلدا سيفا ورمحا(١٨)

المعنى : متقلدا سيفا وحاملا رمحا ٠

وكذلك قال الشاعر :

٢٧ ـ علفتها تبنا وماء باردا　　حتى شتت همالة عيناها(١٩)

المعنى : وسقيتها ماء باردا) ٠

وقال النحاس(٢٠) في اعراب القرآن(٢١) : (ذهب الأخفش وأبو عبيدة(٢٢) الى أن الخفض على الجوار ، والمعنى للغسل ٠

---

(١٧) يريد أن السنة هي التي بينت الغسل ، أما القرآن فجاء بالمسح ٠

(١٨) البيت لعبد الله الزبعرى ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٤) ٠

(١٩) يروى قبل صدره　　لما حططت الرحل عنها واردا
وعلفتها : أطعمتها وقدمت لها ما تأكله ـ تبنا : هو قصب الزرع بعد أن يداس ـ شتت : بمعنى بدت ـ همالة : صيغة مبالغة أي انهمرت وفاضت به وكثر نزوله منها ـ الرحل : متاع المسافر ـ واردا : أي موافيا لما قصدت اليه بسفرى وبالغا اياه ٠
انظر معاني الفراء ٣ : ١٢٤ ـ أوضح المسالك ٢ : ٥٦ ٠

(٢٠) هو أبو جعفر أحمد بن محمد المصرى توفى سنة ٣٣٧هـ بالقاهرة ٠

(٢١) انظر اعراب القرآن للنحاس ١ : ٤٨٥ ٠

(٢٢) انظر مجاز القرآن ١ : ١٥٥ ٠

قال الاخفش : ومثله « هذا جحر ضب خرب » وهذا القول غلط عظيم ونظيره الاقواء(٢٣) ٠

ومن احسن ما قيل : أن المسح والغسل واجبان جميعا ، والمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض ٠ والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب ، والقراءتان بمنزلة آيتين) ٠

وقال أبو حيان في البحر(٢٤) : (والظاهر من هذه القراءة اندراج الأرجل في المسح مع الرأس ٠ وروى وجوب مسح الرجلين عن ابن عباس وانس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر الباقر ، وهو مذهب الامامية من الشيعة ٠

ومن أوجب الغسل تأول أن الجر هو خفض على الجوار ، وهو تأويل ضعيف جدا ، ولم يرد الا في النعت حيث لا يلبس على خلاف فيه قد تقرر في العربية) ٠

وقال الألوسي(٢٥) : في روح المعاني(٢٦) : (قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص (وأرجلكم) بنصب اللام ٠

وقرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم (وأرجلكم) بخفض اللام ٠

ومن هنا اختلف الناس في غسل الرجلين ومسحهما ٠

قال الامام الرازي(٢٧) : نقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس ابن مالك وعكرمة والشعبي أن الواجب فيها المسح ، وهو مذهب الامامية ٠

---

(٢٣) هو اختلاف حركة الروي المطلق بالضم والكسر ٠

(٢٤) انظر البحر المحيط ٣ : ٤٣٧ ٠

(٢٥) هو أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفي سنة ١٢٧٠هـ ٠

(٢٦) ٦ : ٧٣ وما بعدها الى ص : ٧٨ ٠

(٢٧) هو أبو عبد الله محمد بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب المفسر المتكلم الأصولي توفي في سنة ٦٠٦ هـ ٠

وقال جمهور الفقهاء والمفسرين: فرضهما الغسل ٠

وجهة القائلين بالمسح قراءة الجر ، فانها تقتضى كون الأرجل معطوفة على الرءوس فكما وجب المسح فيها وجب المسح على الأرجل ٠

وقول من قال : ان الواجب فى الأرجل الغسل - وانما جرت على الجوار - باطل من وجوه :

أولها - أن الجر على الجوار معدود من اللحن الذى قد يتحمل لأجل الضرورة فى الشعر ، وكلام الله تعالى يجب تنزيهه عنه ٠

وثانيها - أن الجر انما يصار اليه حيث حصل الأمن من الالتباس ، وفى الآية الأمن من الالتباس غير حاصل ٠

وثالثها - أن الجر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب ٠

ومن العلماء من ردوا قراءة النصب الى قراءة الجر ، فقالوا : انها تقتضى المسح أيضا ، لأن العطف حينئذ على الرءوس لقربه فيتشاركان فى الحكم ، وهذا مذهب مشهور للنحاة

ثم قال الامام(٢٨) : واعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا الا من وجهين :

الأول - أن الأخبار الكثيرة وردت بايجاب الغسل ، والغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس ، فكأن الغسل اقرب الى الاحتياط ، فوجب المصير اليه ، وعلى هذا يجب القطع بأن غسل الأرجل يقوم مقام مسحها ٠

والثانى - أن فرض الأرجل محدود الى الكعبين ، والتحديد انما جاء فى الغسل لا فى المسح ٠

والقراءتان متواترتان باجماع الفريقين بل باطباق أهل الاسلام

---

(٢٨) يعنى : الفخر الرازى ، وانظر التفسير الكبير ١٠ : ١٥٤ ، ١٥٥ ٠

كلهم . ومن القواعد الأصولية عند الطائفتين ان القراءتين المتواترتين اذا تعارضتا فى اية واحدة فلهما حكم ايتين ، فلا بد لنا أن نسعى ونجتهد فى تطبيقهما أولا مهما أمكن . لأن الأصل فى الدلائل الاعمال دون الاهمال كما تقرر عند أهل الأصول .

ثم نطلب بعد ذلك الترجيح بينهما ، فان لم يتيسر لنا الترجيح بينهما نتركهما ونتوجه الى الدلائل الاخرى من السنة .

وقد ذكر الاصوليون ان الايات اذا تعارضت بحيث لا يمكن التوفيق ثم الترجيح بينهما يرجع الى السنة ، وان تعارضت السنة كذلك نرجع الى اقوال الصحابه وأهل البيت ، أو نرجع الى القياس عند القائلين بأن قياس المجتهد يعمل به عند التعارض .

فلما تأملنا فى معانى القراءتين فى الآية وجدنا التطبيق بينهما بقواعدنا من وجهين :

الاول ــ أن يحمل المسح على الغسل كما صرح به أبو زيد الانصارى(٢٩) وغيره من أهل اللغة ، فيقال للرجل اذا توضأ تمسح ، ويقال : مسح الله تعالى ما بك أى أزال عنك المرض ، ومسح الأرض المطر اذا غسلها .

فاذا عطفت الأرجل على الرءوس فى قراءة الجر لا يتعين كونها ممسوحة بالمعنى الذى يدعيه الشيعة .

واعترض على ذلك من وجوه :

أولها ــ أن فائدة اللفظين فى اللغة والشرع مختلفة ، وقد فرق الله تعالى بين الأعضاء المغسولة والممسوحة ، فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحدا ؟

وثانيها ــ أن الأرجل اذا كانت معطوفة على الرءوس ، وكان الفرض فى الرءوس المسح الذى ليس بغسل بلا خلاف ــ وجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، والا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز .

---

(٢٩) هو سعيد بن أوس أبو زيد الأنصارى كان كثير الرواية عن العرب ، ونوادره مشهورة توفى سنة ٢١٥ هـ .

وثالثهـا ـ انه لو كان المسح بمعنى الغسل يسقط الاستدلال على الغسل بخبر انه ـ صلى الله عليه وسلم غسل رجليه ، لأنه على هذا يمكن أن يكون مسحها ، فسمي غسلا ٠

ورابعهـا ـ ان استشهاد ابي زيد بقولهم : تمسحت للصلاة لا يجدى نفعا ، لاحتمال انهم لما ارادوا ان يخبروا عن الطهور بلفظ موجـز ، ولم يجز أن يقولوا : تغسلت للصـلاة ، لأن ذلك يوهم الغسل ، قالوا بدله : تمسحت لأن المغسـول من الأعضاء ممسـوح ايضـا ، فتجـوزوا بذلك تعـويلا على فهم المراد ، وذلك لا يقتضي أن يكونوا جعلوا المسـح من أسـماء الغسـل ٠

وأجيب عن الأول ـ بانا لا ننـكر اختلاف فائـدة اللفظين لغـة وشرعا ، ولا تفرقة الله تعالى بين المغسول والممسوح من الأعضاء ، لكنا ندعى أن حمـل المسح على الغسل في بعض المواضع جـائز ، وليس في اللغة والشرع ما يأباه ، على انه قد ورد ذلك في كلامهم ٠

وعن الثـاني ـ بانا نقدر لفظ امسحوا قبل أرجلكم ـ أيضا ـ واذا تعدد اللفظ فلا بأس بأن يتعدد المعنى ولا محذور فيه ٠

وقد نقل شارح زبدة الأصول من الامامية ان هذا القسم من الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز بحيث يكون ذلك اللفظ في المعطوف عليه بالمعنى الحقيقي ، وفي المعطوف بالمعنى المجازى ٠

وقالوا في اية « لا تقربوا الصـلاة وانتم سـكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل »(٣٠) ٠

ان الصلاة في المعطوف عليـه بالمعنى الحقيقي الشرعي ـ وهـو الأركان المخصوصة ـ وفي المعطوف بالمعنى المجـازى وهـو المسـجد ، فانه محل الصلاة ٠

وبذلك فسر الآية جمع من مفسرى الامامية وفقهائهم ، وعليه فيكون هذا العطف من عطف الجمل في التحقيق ، ويكون المسح المتعلق بالرءوس بالمعنى الحقيقي ، والمسح المتعلق بالأرجل بالمعنى المجازى ٠

---

(٣٠) النسـاء : ٤٣ ٠

ولا يشكل أن في الآية حينئذ ابهاما – وبيعد وقوع ذلك في التنزيل – لانا نقول : ان الآية نزلت بعدما فرض الوضوء ، وعلمه – عليه الصلاة والسلام – روح القدس اياه في ابتداء البعثة بسنين ، فلا بأس أن يستعمل فيها هذا القسم من الابهام ، فان المخاطبين كانوا عارفين بكيفية الوضوء ولم تتوقف معرفتهم بها على الاستنباط من الآية ·

ولم تنزل الآية لتعليمهم ، بل سوقها لابدال التيمم من الوضوء والغسل في الظاهر ، والغالب فيما بذكر لذلك عدم البيان المشبع ·

وعن الثالث – بأن حمل المسح على الغسل لداع لا يستلزم حمل الغسل على المسح بغير داع ، فكيف يسقط الاستدلال ؟ سبحان الله تعالى هذا هو العجب العجاب ·

وعن الرابع – بأنا لا نسلم أن العدول عن تغسلت لايهامه الغسل ، فان تمسحت يوهم ذلك ايضا بناء على ما قاله من أن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضا ، سلمنا ذلك لكنا لم نقتصر في الاستشهاد على ذلك ويكفى مسح الارض المطر في الفرض ·

الوجه الثاني – أن يبقى المسح على الظاهر ، وتجعل الأرجل على تلك القراءة معطوفة على المغسولات ، كما في قراءة النصب ، والجر للمجاورة ·

وقد سبق رد هذا قول عند بداية كلام الألوسي المتقدم ·

وبعد ··· فأنا أرى أن ما ذهب اليه الزجاج والنحاس وأبو حيان والألوسي – من وجوب تنزيه كلام الله تعالى عن مثل ظاهرة الجر على الجوار في العطف – هو الحق الذي يجب ان نتبعه ، فان القرآن الكريم ما ينبغي أن يقال في شأنه مثل ذلك ·

ثم ان الجر على الجوار انما يصادر اليه حيث حصل الأمن من اللبس ، وفي الآية الأمن من اللبس غير حاصل ، فقد يوهم بأن الأرجل ممسوحة لا مغسولة ·

وجمهور العلماء على أن الجر على الجوار انما يكون بدون حرف

العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب ، اذ أن حرف العطف حاجز بين الاسمين ومبطل للمجاورة ٠

وعلى ذلك فان قراءة من قرأ (وارجلكم) بجر اللام ، انما هى بالعطف على قوله (برءوسكم) على أن المراد بالمسح فى الأرجل الغسل ٠

وقال ابو زيد الأنصارى : المسح خفيف الغسل ٠

وكان أبو زيد من الثقات الأثبات فى نقل اللغة ، وهو من شيوخ سيبويه ٠

والذى يدل على ذلك قولهم : تمسحت للصلاة أى توضأت والوضوء يشتمل على ممسوح ومغسول ٠

والسر فى ذلك أن المتوضىء لا يقنع بصب الماء على الاعضاء حتى يمسحها مع الغسل ، فلذلك سمى الغسل مسحا ، فالرأس والرجل ممسوحان ، الا أن المسح فى الرجل المراد به الغسل لبيان السنة ، ولولا ذلك لكان محتملا ٠

والذى يدل على أن المراد به الغسل ورود التحديد فى قوله (الى الكعبين) والتحديد انما جاء فى المغسول لا فى الممسوح ٠

وقيل بالجر على الجوار فى العطف فى « وحور عين » من قوله تعالى :

> « والسابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين »(٣١) ٠

فى النشر(٣٢) : قرأ الجمهور برفع (وحور عين) وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائى بخفض الاسمين ٠

---

(٣١) آية : ١٠ ــ الى ٢٢ من سورة الواقعة ٠
(٣٢) انظر طيبة النشر فى القراءات العشر ٢ : ٢٥٤ ٠

وبسبب قراءة الخفض وقع الخلاف بين العلماء ، فمنهم من قال : ان قوله تعالى (وحور عين) بالجر معطوفة على قوله (بأكواب) فيكون الجر على الاتباع في اللفظ ، وان اختلف المعنى ، وهذا هو الجر على الجوار ، وممن ذهب الى ذلك الفراء والعكبرى ·

ومنهم من قال بعطف (وحور عين) على (جنات) فيكون العطف باللفظ والمعنى ، وعليه فالمسالة ليست من باب المجاورة ·

ومن هؤلاء الزمخشرى فى احد قوليه ، والألوسى ·

أولا ــ القائلون بالعطف على اللفظ دون المعنى :

قال الفراء في معاني القرآن : قرأ أصحاب عبد الله (وحور عين) · بالجر ، وهو وجه العربية ، وان كان اكثر القراء على الرفع ، لانهم هابوا أن يجعلوا الحور العين يطاف بهن ، فرفعوا على قولك : ولهم حور عين ، أو عندهم حور عين ·

والخفض على أن تتبع آخر الكلام باوله ، وان لم يحسن فى آخره ما حسن فى أوله ، أنشدني بعض العرب :

٢٨ ــ اذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا(٣٣)

فالعين لا تزجج وانما تكحل ، فردها على الحواجب ، لأن المعنى يعرف ·

وأنشدني آخر :

ولقيت زوجك فى الوغى متقلدا سيفا ورمحا(٣٤)

---

(٣٣) البيت للراعى النميرى ، وانظر الدرر اللوامع ١ : ١٩١ ·
(٣٤) يروى الشطر الأول هكذا
يا ليت زوجك قد غدا
والبيت لعبد الله الزبعرى ، وتقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٤) ·

وأنشدني بعض بني دبير :

علفتهـا تبنـــا ومـــاء باردا　　حتى شتت همالة عيناها(٣٥)

والمـاء لا يعتلف ، انما يشرب ، فجعله تابعـا للتبن ٠

ولقد كان ينبغي لمن قرأ « وحور عين » بالرفع ـ أن يقول (وفاكهة ولحم طير) ، لأن الفاكهة واللحم لا يطاف بهما ، فلا يطاف الا بالخمـر وحـــــدها(٣٦) ٠

وقال العكبري في التبيان عند اعراب هذه الآية (قوله تعالى «وحور عين » على قـراءة الجـر معطوف على قـوله (بأكواب وأباريق) ٠ والمعنى مختلف اذ ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين) ٠

ثانيـا ـ القائلون بالعطف على اللفظ والمعنى :

قال الزمخشري في الكشاف(٣٧) : (قرىء (وحـور عين) بالرفع على وفيها حور عين ، وبالجر عطفا على (جنات النعيم) كأنه قال : هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور ٠

أو على (أكواب) لأن معنى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب) ينعمون بأكواب) ٠

وقال الألوسي في روح المعـاني(٣٨) : (وقـرأ السـلمي والحسن والأعمش والكسائي (وحور عين) بالجر ٠

وخرج على العطف على (جنات النعيم) وفيه مضاف محـذوف ، كأنه قيل : في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور ٠

وذهب الى العطف المذكور الزمخشري ، وتعقبه أبو حيـان فقال : فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض ، وهو فهم أعجمي ٠ وليس كما قال كمالا يخفى) ٠

---

(٣٥) تقدم الكلام عنه عند الشاهد رقم (٢٧) ٠
(٣٦) انظر معـاني القرآن للفراء ٣ : ١٢٣ ـ ١٢٤ ٠
(٣٧) انظر الكشاف ٤ : ٥٤ ٠
(٣٨) انظر روح المعـاني ٢٧ : ١٣٨ ٠

وما ذهب اليه الزمخشرى والألوسى من أن قوله تعالى (وحور عين) ـ بالجر ـ قد عطف على قوله (جنات النعيم) هو الراجح ٠

وذلك لما يأتي :

أولا ـ ان العطف فى مثل هذه الحالة يكون باللفظ والمعنى ، وعليه فلسنا بحاجة الى تقدير وتأويل ٠

ثانيا ـ ان العطف على قوله تعالى (باكواب وأباريق) انما يكون في اللفظ دون المعنى ، لأن الولدان لا يطوفون بهن طوافهم بالأكواب ٠

ثالثا ـ اذا كان الجمهور قد رفضوا الجر على الجوار فى قوله (وأرجلكم) ٠

من قوله تعالى (وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين)(٣٩) وذلك بسبب وجود حاجز بين المعطوف والمعطوف عليه وهو الواو ٠

فمن باب أولى يكون عطف (وحور عين) ـ بالجر ـ على (بأكواب وأباريق) أشد امتناعا ، اذ أن الفاصل هنا أكثر من جملة ، وهو مانع من الجر على جوار ، أو على الأقل يضعفه ٠

ما يندرج تحت حكم المجاورة :

مما يعطى حكم المجاورة ، صرف ما لا ينصرف للتناسب ومن ذلك قوله تعالى :

« انا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا »(٤٠) ٠

قال النحاس(٤١) : (والحجة لمن نون (سلاسلا) ما حكاه الكسائى وغيره من الكوفيين ان العرب قد تصرف كل ما لا ينصرف الا افعل منك(٤٢) فهذه حجة ٠

---

(٣٩) من الآية : ٦ من سورة المائدة ٠
(٤٠) آية : ٤ من سورة الانسان ٠
(٤١) انظر اعراب القرآن للنحاس ٣ : ٥٧٣ ٠
(٤٢) يريد (أفعل التفضيل) ٠

وحجة أخرى أن بعض أهل النظر يقول : كل ما يجوز في الشعر فهو جائز في الكلام ، لأن الشعر أصل كلام العرب ٠

وحجة ثالثة ـ نه لما كان الى جانبه جمع ينصرف فأتبع الأول الثاني) ٠

وقال الزمخشري(٤٣) : (وقرىء (سلاسلا) بالتنوين ، وفيه وجهان :

أحدهما ـ أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ، ويجري الوصل مجرى الوقف ٠

والثاني ـ أن يكون صاحب قراءة التنوين ممن ضرى برواية الشعر ، ومرن لسانه على صرف غير المنصرف) ٠

وقال الألوسي(٤٤) : (وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر والأعمش (سلاسلا) بالتنوين وصلا ، وبالألف المبدله منه وقفا ٠

وبعد ذلك اعترض على الزمخشري الذي جوز وجهين في التنوين :

أحدهما ـ أن تكون هذه النون بدلا عن حرف الاطلاق ، ويجري الوصول مجرى الوقف ٠

والثاني ـ أن يكون صاحب القراءة ممن ضرى برواية الشعر ، ومرن لسانه على صرف غير المنصرف ٠

وقد ضعف الألوسي الوجهين السابقين :

أما الأول ـ فان الابدال من حروف الاطلاق في غير الشعر قليل كيف وضم اليه اجراء الوصل مجرى الوقف ٠

وأما الثاني ـ ففيه تجويز القراءة بالتشهي دون سداد وجهها في العربية ٠

والوجه : انه لقصد الازدواج والمشاكلة) ٠

---

(٤٣) انظر الكشاف ٤ : ١٩٥ ٠
(٤٤) انظر روح المعاني ٢٩ : ١٥٣ ٠

المبحث الثاني

الجـــر على الجـوار فى النعت

الجر على الجوار فى النعت فى القرآن محل خلاف ـ أيضاً ـ بين العلماء ، فمنهم من أجازه ، ومنهم من منعه ٠

فممن اجاز : الفراء والعكبرى ، وممن منع ابن جنى والنحـاس والألوســــى ٠

ومن الآيات التى ظاهرها يفيد الجر على الجوار فى النعت قوله تعـــالى :

« والى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لـكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير انى اخـاف عليكم عذاب يوم محيط »(١) ٠

قال العكبرى(٢) : (ومن الجـوار فى الصفات قوله « عـذاب يوم محيط » واليوم ليس بمحيط ، وانما المحيط العذاب) ٠

وقال الألوسى(٣) : (والحاصل أن احاطة اليوم تدل على احاطة كل ما فيه من العذاب ، وأما احاطة العذاب على قوم فقد يكون بأن يصيب كل فرد منهم نوعا من انواع العذاب ٠

وأما فيما نحن فيه ، فيدل على احاطة أنواع العذاب المشتمل عليها اليوم بكل فرد ٠ ولا شك فى ابلغية هذا ٠

وقال بعض المحققين فى بيـان الأبلغيـة : ان اليوم زمـان لجميع

---

(١) هـود : ٨٤ ٠
(٢) انظر التبيـان ١ : ٤٢٣ ٠
(٣) انظر روح المعـانى ١٢ : ١١٥

الحوادث ، فيوم العذاب زمان جميع انواع العذاب الواقعة فيه ، فاذا كان محيطا بالمعذب فقد اجتمع انواع العذاب له .

ومن ذلك قول الشاعر :

٢٩ ـ ان المروءة والسماحة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج

فان وقوع العذاب في اليوم ، كوجود الأوصاف في القبة .

وجعل اليوم محيطا بالمعذب كضرب القبة على الممدوح ، فكما ان هذا كناية عن ثبوت تلك الأوصاف له كذلك ذاك كناية عن ثبوت انواع العذاب للمعذب) .

وقال الزمخشري(٤) : (فان قلت : وصف العذاب بالاحاطة ابلغ أم وصف اليوم بها ؟

قلت : بل وصف اليوم بها ، لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه) .

وقال تعالى « مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد »(٥) .

قال الفراء(٦) : (وقال تعالى « في يوم عاصف » فجعل العصوف تابعا لليوم في اعرابه ، وانما العصوف للريح ، وذلك جائز على جهتين :

احداهما ـ أن العصوف وان كان للريح فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، فجاز ان تقول : يوم عاصف ، كما تقول : يوم بارد ، ويوم حار ، وقد انشدني بعضهم :

---

(٤) انظر الكشاف ٢ : ٢٨٥ .
(٥) آية : ١٨ من سورة ابراهيم .
(٦) انظر معاني الفراء ٢ : ٧٣ وما بعدها .

٣٠ ــ يومين غيمين ويوما شمســـا

فوصف اليومين بالغيمين ، وانمــا يكون الغيم فيهما ٠

والوجه الاخر ــ أن يريد فى يوم عاصف الريح ، فتحذف الريح ، لأنها قــد ذكرت أول الكلمة ٠

قال الشــاعر :

فيضـــحك عـــرفان الدروع جـــلودنا

اذا جـــاء يوم مظـلم الشـــمس كاسف

يريد كاسف الشمس فهذان وجهان ٠

وأن نويت أن تجعل (عاصف) من نعت الريح خاصة ، فلما جاء بعد اليوم اتبعته اعراب اليوم ، وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض اذا اشبهه) ٠

وقال العكبرى(٧) : (ومن الجوار فى الصفات قوله تعــالى « فى يوم عاصف » واليوم ليس بعاصف ، وانما العاصف الريح) ٠

وقال النحاس(٨) : (قوله تعــالى « فى يوم عاصف » على النسب عند البصريين بمعنى ذى عاصف ، ثم ذكر قول الفراء المتقدم ، وجوازه أن يكون (عاصف) صفة لليـــوم بمعنى فى يوم عاصف ، أوصفة للريح خاصة ، فلما جاء بعد اليوم اتبعته اعراب اليوم وذلك من كلام العرب أن يتبعوا الخفض الخفض ٠

وبعد ذلك رد النحاس على كلام الفــراء المتقدم قائلا : هــذا مما لا ينبغى أن يحمل كتاب الله ــ جل وعــز ــ عليه ٠

وقد ذكر سيبويه أن هذا من العرب غلط ، واستدل بانهم اذا ثنوا قالوا : هذان جحرا ضب خربان ، لأنه قد استبان بالتثنية والتوحيد) ٠

---

(٧) انظر التبيان ١ : ٤٢٣ ٠
(٨) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢ : ١٨١ ٠

وقال الالوسي(٩) : (وقيل : ان (عاصف) صفة (الريح) الا انه جر على الجـوار ٠

وفيه انه لا يصح وصف الريح به ، لاختلافهما تعريفا وتنكيرا) ٠

ومن الجر على الجوار في الصفة قوله تعالى :

« ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »(١٠) ٠

وقد اختلفت كلمة الفراء حول هذه الآية ، فعندما كان في معرض الحديث عن معنى قوله تعالى «اشتدت به الريح في يوم عاصف »(١١) أجاز جر (عاصف) على الجوار ، وان كانت صفة للريح ، واضاف قائلا : ومما يرويه نحويونا الأولون أن العرب تقول : هذا جحر ضب خرب بجر (خرب) والوجه الرفع ٠

ثم استدل على ذلك بقوله : وقد ذكر عن يحيى بن وثاب انه قـرأ « ان الله هو الرازق ذو القوة المتين » فخفض (المتين) وبه اخذ الأعمش ، والوجه أن يرفع (المتين)(١٢) ٠

ويفهم من استدلال الفراء المتقدم انه أجاز ان يكون (المتين) بالجر صفة لقوله تعالى (الرزاق) وكان حقها الضم الا انهـا جـرت لمجاورتها المجـــرور ٠

وعندما تكلم عن قوله تعالى « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » وجدناه لم يتعرض لظاهرة المجاورة ، ووجه قراءة جر (المتين) على انها صفة لقوله تعالى (القوة) ٠

قال الفراء في معاني القرآن (١٣) : (قرأ يحيى بن وثاب (المتين) بالخفض جعله من نعت (القوة) وان كانت انثى في اللفظ ، فانه ذهب الى الحبل والى الشيء المفتول ٠

---

(٩) انظر روح المعاني ١٣ : ٢٠٤ ٠
(١٠) آية : ٥٨ من سورة الذاريات ٠
(١١) من الآية : ١٨ من سورة ابراهيم ٠
(١٢) انظر معاني الفراء ٢ : ٧٥ ٠
(١٣) انظر معاني الفراء ٣ : ٩٠ ٠

أنشدني بعض العرب :

٣١ ــ لكل دهـر قـد لبست أثوبا   من ريطة واليمنة المعصـبا(١٤)

فجعـل المعصب نعتـا لليمنة ، وهى مؤنثة فى اللفظ ، لأن اليمنة ضرب وصنف من الثياب فذهب اليه) .

وقال ابن جـنى(١٥) : (قـرأ يحيى والأعمش « ذو القـوة المتين » ويحتمل أمـرين :

أحدهما ــ أن يكون وصفا للقوة فذكره على معنى الحبـل ، يريد قوى الحبل ، لقوله « فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها »(١٦) .

والآخر ــ أن يكون أراد الرفع وصفا للرزاق ، الا أنه جاء على لفظ القوة لجوارها اياه على قولهم : هذا جحر ضب خرب .

وعلى أن هذا فى النكرة ــ على ما فيه ــ أسهل منـه فى المعرفة ، وذلك أن النكرة أشد حاجة الى الصفة ، فيقدر قوة حاجتها اليها تتشبث بالاقرب اليها ، فيجوز هـذا جحر ضب خرب ، لقوة حاجة النـكرة الى الصـفة .

فأما المعرفة فتقل حاجتها الى الصفة فبسبب ذلك لا يسوغ التشبث بما يقرب منها لاستغنائها فى غالب الأمـر عنها ، الا ترى أنه قـد كان يجب الا توصف المعرفة ، لـكنه لـما كثرت المعـرفة تداخلت فيما بعـد ، فجاز وصفها ، وليس كذلك النكرة ، لأنها فى أول وضعها محتاجة الى الصفة لابهامها .

---

(١٤) قاله معروف بن عبـد الرحمن ، وقيـل : حميـد بن ثور ، ويروى عجزه :

حتى اكتسى الرأس قناعا أشـهبا

و (الريطة) الملاءة اذا كانت قطعة واحدة . والمعصب : المعمم الذى يحيط بالرأس .

وانظر الأشمونى ٤ : ١٢٢ .

(١٥) راجع المحتسب ٢ : ٢٨٩ .

(١٦) من الآية : ٢٥٦ من سورة البقرة .

فن قلت : ان (القوة) مؤنثة ، و (المتين) مذكر فكيف جاز أن تجريها عليها على الخلاف بينهما ؟ !

قيل : قد تقدم أن القوة هنا انما المفهوم منها الحبل على ما تقدم ، فكأنه قال : ان الله هو الرزاق ذو الحبل المتين وهذا واضح ·

وأيضا فان (المتين) فعيل ، وقد كثر مجيء فعيل مذكرا وصفا للمؤنث، كقولهم : حلة خصيف(١٧) ، وناقة حسير(١٨) ·

وقال الألوسي(١٩) : (وقرأ الأعمش وابن وثاب (المتين) بالجر · وخرج على انه صفة (القوة) ·

وجاز ذلك مع تذكيره ، لتأويلها بالاقتدار ، أو لكونه على زنة المصادر التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لاجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول) ·

وبعد ··· فقد عرضنا اقوال العلماء فيما يتعلق بالجر على الجوار في النعت ، وعرفنا أن منهم من اجاز ، ومنهم من منع ·

وانا اؤيد وارجح رأى من منع على أساس ان الجر على الجوار لا ينبغى ان يكون فى كلمات الله ـ عز وجل ـ ·

وايضا فان المعنى يكون واضحا وظاهرا من غير اللجوء الى مثل هذه الظاهرة ، ففى الآيات المتقدمة اذا جعلنا (محيط) فى الآية الأولى صفة لقوله تعالى (يوم) فان الكلام يكون صحيحا ، بل ان ذلك ابلغ من جعله صفة للعذاب ، كما تقدم ·

وكذا يصح لنا ان نجعل (عاصف) فى الآية الثانية صفة لقوله (يوم) فان اليوم يوصف به ، لأن الريح فيه تكون ، أو أن يجعل (عاصف) على النسب بمعنى ذى عاصف ·

---

(١٧) حلة خصيف : ذات لونين : أبيض وأسود ·
(١٨) ناقة حسير : مجهدة ·
(١٩) انظر روح المعانى ٢٧ : ٢٤ ·

وفى الآية الثالثة يصح المعنى بجعل (المتين) على قراءة الجر صفة لقوله تعالى (القوة) على أن (القوة) بمعنى الحبل ، أو بمعنى الاقتدار ، أو كونه من الأوصاف التى يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لاجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول ·

وبالاضافة الى ما تقدم نجد أن (الريح) معرفة ، و (عاصف) نكرة ، والمعرفة لا توصف بنكرة ·

المبحث الثالث

الجوار بين الواو والضمة

يترتب على مجاورة الواو المضمة التي قبلها قلب الواو همزة - جوازا - على تقدير أن هذه الواو لما جاورت المضموم فكأن الضمة فيها • والنحاة يبدلون من الواو المضمومة همزة ، كما قالوا في وجوه أجوه ، وهذا قياس نحوي محل اتفاق بين جمهور العلماء ، فما جاء منه في القرآن يكون مقبولا وسائغا •

ومن الآيات التي وردت في ذلك :

قوله تعالى :

« والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة

هم يوقنون »(١) •

قال الزمخشري(٢) : ((قرأ أبو حية النميري (يؤقنون) بالهمزة ، جعل الضمة في جار الواو ، وكأنها فيه ، فقلبها قلب واو (وجوه)) •

وقال أبو حيان(٣) : ((قرأ الجمهور (يوقنون) بواو ساكنة بعد الياء ، وهي مبدلة من ياء ، لأنه من أيقن •

وقرأ أبو حية النميري بهمزة ساكنة بدل الواو ، وذكر أصحابنا أن هذا يكون في الضرورة • ووجهت هذه القراءة بأن هذه الواو لما جاورت المضموم فكأن الضمة فيها ، وهم يبدلون من الواو المضمومة همزة فقد

---

(١) آية : ٤ من سورة البقرة •
(٢) الكشاف ١ : ١٣٨ •
(٣) البحر ١ : ٤٢ •

قالوا فى وجوه و وقتت : أجوه و اقتت ، فأبدلوا من هذه همزة اذ قدروا الضمة فيهـا) .

وقال الآلوسى(٤) : (وقـرأ النميرى (يؤقنون) بهمزة سـاكنة بدل الواو . وشاع عندهم أن الواو اذا ضمت ضمة غير عارضة ، كما فصل فى العربية يجوز ابدالها همزة ، كما قيل فى وجوه جمع وجه (أجوه) .

فلعل الابدال هنا لمجاورتها للمضموم فأعطيت حكمه) .

ومن ذلك قـوله تعـالى :

« ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق »(٥) .

قال الزمخشرى(٦) : (من قرأ (بالسؤق) فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق ، كما قال الشاعر :

احب المؤقـدين الى مؤسى(٧)

وقال الآلوسى(٨) (قـرأ ابن كثير (بالسؤق) بهمـزة سـاكنة ، قال أبو على : وهى ضعيفة لكن وجهها فى القياس ان الضمة لمـا كانت تلى الواو قدر انها عليها كما يفعلون بالواو المضمومة حيث يبدلونها همزة . ووجههـا من القيـاس أن أباحيـة النميرى كان يهمز كل واو سـاكنة قبلها ضمة) .

وانا أرى أن همز الواو فى المواضع المتقدمة جائز ومتفق مع القياس، وهذا ما ذهب اليه الجمهور ، فلعل الابدال هنـا بسبب مجـاورة الواو الضمة وكانوا ينشدون فى هذا المعنى قول الشاعر :

---

(٤) انظر روح المعانى ١ : ١٢٢ .
(٥) اية : ٣٣ من سورة ص .
(٦) انظر الكشاف ٢ : ٣٧٤ .
(٧) المذكور صدر بيت تقدم الكلام عليه عند الشاهد رقم (٢٣) .
(٨) انظر روح المعانى ٢٣ : ١٩٨ .

٣٢ ــ قد يؤخذ الجار بظلم الجار(٩)

وبعد ... فأرجو أن أكون قد وفقت فى اعطاء هذا الموضوع حقه من البحث والمناقشة ، فان أكن كذلك فبتوفيق الله ، وان تكن الأخرى فحسبى فى ذلك أننى بشر أطمع فى رحمة الله ، انه نعم المولى ونعم المجيب .

---

(٩) المذكور رجز أنشده أبو على وقال فى الخصائص ٢ : ١٧١ (يحكى أن أعرابيا أراد امرأة له ، فقالت له : انى حائض ، فقال فأين الهنة الأخرى ، فقالت له اتق الله ، فقال :

كلا و رب البيت ذى الاستار لأهتكن حلق الحتار

قد يؤخذ الجار بجرم الجار

والهنة : المرأة ــ الحتار : حلقة الدبر .

فهرس الشواهد الشعرية

رقم الشاهد :

٣١ ـ لكل دهر قد لبست اثوبا
من ريطة واليمنة المعصبا

٨ ـ يا صاح بلغ ذوى الزوجات كلهم
أن ليس وصل اذا انحلت عرا الذنب

٢٩ ـ ان المروءة والسماحة والندى
فى قبة ضربت على ابن المشرج

١٢ ـ كأنما ضربت قدام أعينها
قطنا بمستحصد الأوتار محلوج

٢٤ ـ يا ليت زوجك قد غدا
متقلدا سيفا ورمحا

٢٣ ـ احب المؤقدين الى مؤسى
وجعدة اذا أضاءهما الوقود

٦ ـ فجئت اليه والرماح تنوشه
كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

فدافعت عنه الخيل حتى تبددت
وحتى علانى حالك اللون أسود

٢١ ـ انارة العقل مكسوف بطوع هوى
وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

١٢ ـ لعب الرياح بها وغيرها
بعدى سوافى المور والقطر

رقم الشاهد :

١٧ ــ لما أتى خبر الزبير تضعضعت
سور المدينة والجبال الخشع

٢٢ ــ ومعرض تغلى المراجل تحته
بادرت طبخها لرهط جيع

٢ ــ ويضحك عرفان الدروع جلودنا
اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف

٩ ــ السالك الثغرة اليقظان كالئها
مشى الهلوك عليها الخيعل الفضل

٧ ــ كأن أبانا فى عرانين وبله
كبير أناس فى بجاد مزمل

١٤ ــ فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة
كفانى ــ ولم أطلب ــ قليل من المال

١٠ ــ حتى تهجر فى الرواح وهاجها
طلب المعقب حقه المظلوم

١٥ ــ ولكن نصفا لو سببت وسبنى
بنو عبد شمس من مناف وهاشم

١٨ ــ وتشرق بالقول الذى قد أذعته
كما شرقت صدر القناة من الدم

١٩ ــ مشين كما اهتزت رماح تسفهت
أعاليها مر الرياح النواسم

٢٠ ــ جادت عليه كل عين ثرة
فتركن كل حديقة كالدرهم

١١ ــ قد كنت داينت بها حسانا
مخافة الافلاس والليانا

٢٨ ـ اذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا

٢٥ ـ مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها

٥ ـ على هطا لهم منهم بيوت
كأن العنكبوت هو ابتناها

٢٧ ـ علفتها تبنا وماء باردا
حتى شتت همالة عيناها

٢٦ ـ بدالى أنى لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئا اذا كان جائيا

٣ ـ فاياكم وحية بطن واد
هموز الناب ليس لكم بسى

١ ـ وكنت اذا جارى دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق مئزرى

١٦ ـ ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

انصاف الأبيات

٣٢ ـ قد يؤخذ الجار بظلم الجار

٣٠ ـ يومين غيمين ويوما شمسا

٤ ـ كأن نسج العنكبوت المرمل

مـــراجع البحث

١ ـ القـرآن الـكريم :

٢ ـ اعـراب القـرآن لأبي جعفر النحـاس ـ تحقيق د. زهير غـازي زاهـد ـ مطبعة العـاني ـ بغداد .

٣ ـ الأمـالي الشجرية ـ دار المعرفة ـ بيروت .

٤ ـ الانصاف في مسائل الخـلاف بين البصريين والكوفيين ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ١٩٨٢م .

٥ ـ البحر المحيط لأبي حيـان .

٦ ـ التبيان في اعراب القرآن لأبي البقـاء العـكبري ـ تحقيق محمد علي البيجاوي ـ مكتبة الحلبي .

٧ ـ تفسير روح المعـاني للألوسي ـ بيروت ـ احياء التراث العربي .

٨ ـ تفسـير القرطبي .

٩ ـ حاشية الصبان على شرح الأشـموني للألفية ـ مطبعة الحلبي .

١٠ ـ الخصائص لابن جـني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت .

١١ ـ دراسات لاسلوب القرآن الكريم تأليف الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ـ مطبعة السعادة .

١٢ ـ ديوان الأعشى ـ طبعة بيروت .

١٣ ـ ديوان الحطيئة ـ شرح أبي سعيد السكري ـ بيروت .

١٤ ـ ديوان دريدبن الصمة ـ تحقيق ـ محمد خير البقـاي ـ مـكتبة دار قتيبة ١٩٨١م .

١٥ ـ ديوان ذى الرمة ـ الطبعة الأولى ٠

١٦ ـ ديوان العجاج ـ تحقيق ـ عبد الحفيظ السلطى ـ دمشق ٠

١٧ ـ ديوان الفرزدق ـ المكتبة التجارية الكبرى ٠

١٨ ـ ديوان لبيد ـ بيروت ١٩٦٦م ٠

١٩ ـ ديوان الهذليين ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٥م ٠

٢٠ ـ سر صناعة الاعراب لابن جنى النحوى ـ تحقيق ـ مصطفى السقا وزملائه ـ الطبعة الأولى ٠

٢١ ـ شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ـ لابن هشام ـ تحقيق ـ الشيخ عبد المتعال الصعيدى ـ مكتبة صبيح ٠

٢٢ ـ شرح أبيات سيبويه السيرافى ـ تحقيق ـ محمد على سلطانى ـ بيروت ٠

٢٣ ـ شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ نسخة مصورة على الميكروفيلم ـ موجودة فى المكتبة المركزية بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٢١٦٧) ٠

٢٤ ـ شرح ديوان جرير تأليف ـ محمد اسماعيل الصاوى ـ دار الأندلس ـ بيروت ٠

٢٥ ـ شرح ديوان زهير ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٤٤م

٢٦ ـ شرح الرضى لشواهد الشافية ـ القسم الثانى ـ تحقيق ـ محمد نور الحسن وزميليه ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ٠

٢٧ ـ شرح الرضى لكافية ابن الحاجب ـ لبنان ٠

٢٨ ـ شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ـ تحقيق ـ احمد الخراط ـ طبعة بغداد ٠

٢٩ ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك ـ تحقيق الدكتور عبد المنعم احمد هريدى ـ مركز البحث العلمى ـ جامعة أم القرى ـ مكة ٠

٣٠ ـ الصحاح للجوهرى ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

٣١ ـ الكتاب لسيبويه ـ تحقيق ـ ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين الطبعة الأولى .

٣٢ ـ الكشاف للزمخشرى ـ دار المعرفة ـ لبنان .

٣٣ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ـ لمكى بن ابى طالب ـ تحقيق الدكتور محى الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

٣٤ ـ مجاز القرآن لأبى عبيدة ـ تحقيق الدكتور محمد فؤاد ـ مكتبة دار الفكر .

٣٥ ـ المحتسب فى تبيين وجوه القراءات لابن جنى ـ تحقيق على النجدى ناصف وزميليه ـ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

٣٦ ـ معانى القرآن للأخفش ـ تحقيق الدكتور فائز فارس .

٣٧ ـ معانى القرآن الفراء ـ مطبعة عالم الكتب ـ بيروت .

٣٨ ـ معانى القرآن واعرابه للزجاج ـ تحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى ـ مشروع احياء التراث الاسلامى .

٣٩ ـ مغنى اللبيب لابن هشام ـ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

٤٠ ـ المقتضب للمبرد ـ تحقيق الأستاذ احمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب ـ بيروت .

٤١ ـ المنصف (شرح تصريف المازنى) لابن جنى ـ تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله امين الطبعة الأولى .

٤٢ ـ النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ المكتبة التجارية الكبرى .

٤٣ ـ همع الهوامع ـ شرح جمع الجوامع للسيوطى ـ تحقيق ـ عبد العال سالم مكرم ـ دار البحوث العلمية الكويت .

فهـرس الموضوعات

دار الثقافة للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل صدقي ـ الفجالة
تليفون ٩١٦٠٧٦ القاهرة